هَل تَسمَحُونَ لي أَنْ أُحبّ وَطَني

الطبعة الأولى	1990	الطبعة الثانية	1991
الطبعة الثالثة	1993	الطبعة الرابعة	1994
الطبعة الخامسة	1997	الطبعة السادسة	2016

الناشر:

دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع

ص.ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

الترقيم الدولي

I.S.B.N: 978-99906-2-056-6

* الغلاف: تفصيل من لوحة للكاتبة

هَل تَسمَحُونَ لي أَنْ أُحبّ وَطَني

د. سعاد محمد الصباح

الطبعة السادسة
2016

كويتيون بلا قبور

كويتيون بلا قبور

لم يغنِّ أحد لمجد العراق كما غنّيت أنا.

ولم يَسْقِ أحدٌ مياهَ دجلة بدموعه، كما سقيتُها أنا.

ولم يرشق أحدٌ جنودَه بالورود والريحان، كما رشقتهم أنا.

وأخيراً، لم تتمنَّ امرأة عربية أن يكون جسدها «نخلة تشرب من شطّ العرب» إلا أنا..

لقد كنتُ دائماً متَّهَمَةً بأنني عراقية الهوى، وأن كتاباتي، شعراً ونثراً، مبلّلة بأمطار العراق، ورطوبة أنهاره، ونضارة بساتينه.

وكنتُ دائماً أفاخر بهذه التهمة الجميلة، لأنني كنت أعتبر العراق الجناح العربي القومي الذي يغطينا، ويحمينا، ويدافع عن مستقبلنا ومستقبل أولادنا.

وبكلمة أخرى، فإن التزامي بالخط العراقي، كان التزاماً بالخط القومي، الوحدوي.

كان العراق يمثل لي، تلك القوة الصاعدة الواعدة، التي افتقدناها في السبعينيات، كما كنت أرى فيه البديل القومي، والإستراتيجي الذي سيصحح ميزان القوى بيننا وبين إسرائيل، وينهي حالة الهوان، والتخاذل والتشرذم والانفلاش، التي عصفت بدول المنطقة.

فإذا كنت وقفت مع العراق كما وقف كل أهل الكويت في أيام الشدة فلأنه يمثل لنا السند والمدد، والضمانة القومية والخيار

القومي الوحيد بعدما سقطت جميع الخيارات.

فما الذي حدث حتى غامت الصورة الجميلة، وبهتت ألوانها؟ كيف يبست بين عشية وضحاها بساتين النخيل في قلبي، وماتت العصافير، واختفى ضوء القمر؟

كيف انكسر زجاج السماء فجأة فوق رأسي.. ودخلت شظاياه في عيوني؟!

إنني أكتب هذه الكلمات وأنا مدفونة تحت رماد هذا الزلزال العنيف الذي طمر أحلامي الجميلة.. وطمرني.

إنني أتابع نشرات الأخبار على التلفزيون البريطاني، مع آلاف من الكويتيين فلا نصدق ما نرى.. ولا نصدق ما نسمع.

كيف يمكنني أن أصدق، أنا العربية الكويتية، أن بلدي يلغى بجرّة قلم.. وأن تاريخي تأكله جنازير الدبابات الصديقة؟!

كيف يمكن أن أستيقظ صباحاً، لأجد نفسي بلا بيت، ولا أهل، ولا هوية، ولا تذكرة سفر أعود بها إلى ربعي، وديرتي، وأبناء عمومتي؟!

من ذا يصدق أن يموت عمي بين يدي في أحد مستشفيات لندن، بجلطة في دماغه بعد سماعه أنباء الغزو العراقي على الكويت، ولا أستطيع أن أنقله إلى الكويت ليدفن في ترابها حسب وصيته، وأبقى أياماً أفتّش له عن تراب يحتويه؟

هل أصبح الكويتي الذي يموت في الخارج ممنوعاً من السكن في مقبرة كويتية تستريح فيها عظامه؟!

وهل من المعقول أن يحتل الجيش العراقي الصديق.. بلادنا ومقابرنا أيضاً؟!

ثم ماذا اجترح أبناء الشعب الكويتي من آثام حتى يجدوا

أنفسهم، دون سابق إنذار، متسولين على أرصفة المدن الأجنبية بعدما تحولت الدنانير القليلة الباقية في جيوبهم إلى نفايات؟!

ماذا فعل الكويتيون حتى يحل دمهم وتهان كرامتهم، وتنتهك حرمة بيوتهم؟! هل هذا هو ثمن عروبتهم ونخوتهم وعطائهم، والتزامهم القومي؟!

اعذروني، أيها السادة، إذا كانت كلماتي عصبية وحارقة.. فالكتابة على فوهة بركان، لا بد أن يكون لها طعم الحريق.

ورغم الحزن الكبير الذي يعتصر أعماقي، ورغم الخراب العظيم الذي يتراكم في صدري وفوق أوراقي، فإنني أعتبر نفسي ابنة الكويت أولاً.. وابنة الكويت ثانياً.. وثالثاً.. وعاشراً.. وأن العدوان على بلدي غلطة كبرى كان من الممكن تجنبها.

فالدبابة هي دائماً أسوأ مفاوض في التاريخ..

وقوة المعدن لا يمكن أبداً أن تنتصر على قوة البصيرة والعقل.. والصاروخ قد يهدم مدينة.. ولكنه لا يهدم تاريخ شعب، وتراثه وعنفوانه.

غداً.. ستعود الدبابات والمجنزرات العراقية إلى حظائرها وهي تبكي..

لأنها أضاعت طريقها إلى الهدف القومي الكبير..

العدالة المتأخرة

العدالة المتأخرة

بعدما ضرب الذي ضرب.. وهرب الذي هرب..

وبعدما أفرغ الجيش العراقي الظافر، كل ما في البيوت الكويتية من فضة، وذهب، وتلفزيونات، وثلاجات، ومكيفات هواء، وساعات، وخواتم، وأساور، وأحذية نسائية..

بعدما أكل «الجراد الصديق» الأخضر واليابس في مدينة الكويت، وبعدما أفرغوا المصارف، والمحلات التجارية، والسوبر ماركت، من محتوياتها.. ونقلوا كل سيارة تعجبهم إلى بغداد، وبعدما استحلوا على طريقة المغول والتتار كل ما وقع تحت أيديهم مما خف وزنه وغلا ثمنه، وبعدما قشطوا اللحم عن عظامنا.. وتركوا منازلنا قاعاً صفصفاً..

أمر سيادة الرئيس العراقي، أطال الله عمره، ونصر جنده، بإعدام كل جندي عراقي يقوم بأعمال السرقة والنهب، لأن هذا العمل يتنافى وقواعد الجوار ومناقبية العرب، والأخلاق العربية..

يا سلام.. على مبادئ حسن الجوار التي مضغتها جنازير الدبابات.

يا سلام على إنسانية عمر بن الخطاب.

وأخيراً.. يا سلام على العدل الذي يأتي بعد قطع رأس المظلوم والتمثيل بجثته.

الحقيقة أن عاطفة هذا الرئيس أبكتنا.. وغيرَتُه على أموالنا،

وبيوتنا، وأعراضنا.. حركت أعماقنا.

فباسم عشرات الألوف من الكويتيين الذين حولتهم خلال ثمان وأربعين ساعة إلى فقراء، ومتسولين..

وباسم آلاف الأطفال الكويتيين الذين استفاقوا يوم 2 أغسطس / آب، ليجدوا أنفسهم من دون أسماء، ومن دون آباء، ومن دون مدارس، ومن دون مستقبل.

باسم الوطن الصغير الذي وضعته في جيبك تحت شعار الوحدة العربية الكبرى، وانضمام الفرع إلى الأصل، وتصحيح التاريخ..

باسم مسرحية اللامعقول.. التي يتابع العالم فصولها، ولا يفهم شيئاً..

نشكرك على المرسوم الذي استصدرته بإعدام كل جندي عراقي يسرق بيتاً كويتياً.

فهل تسمح لي، يا سيادة الرئيس، أن أسألك سؤالاً مختصراً:

«.. والذي سرق الوطن الكويتي كله.. ما عقوبته؟».

مبادرات بالجملة

مبادرات بالجملة

مبادرات.. مبادرات.. مبادرات..

يطرحها الرئيس العراقي على العالم بالجملة والقطاعي.. بالرطل والكيلو.. باللغة العربية وباللغة الفارسية.. وكلها إن دلت على شيء فإنما تدل على التخبط، والإفلاس السياسي.

إنه يقفز فوق الحواجز الجغرافية، والتاريخية والعقلانية، متصوراً أن ما يفعله شطارة، ودبلوماسية، في حين إن العالم يستقبل كل هذه المبادرات بالشفقة والرثاء والسخرية.

هل من الممكن أن يبتلع دولة الكويت صباحاً.. ثم يجمع هيئة أركانه، وأعضاء القيادتين القومية والقطرية ليسألهم: أين سنتغدى أيها الرفاق؟

وفي أي مكان سنتعشى؟ ومع من نلعب الورق غداً؟؟

أكيد أن هذا الرجل لا ينام.. وأنه مرهق الفكر، وأكيد أنه أحرق كل المراكب وراءه، لذلك نراه يتعلق بأي خشبة طافية على وجه الماء حتى ينقذ نفسه، وينقذ نظامه.

وعندما تتحول الكوابيس الليلية إلى مبادرات، يصبح كل شيء ممكناً، فيتحول الأبيض إلى أسود، ويتحول الليل إلى نهار، ويتحول العدو إلى صديق، وتتحول أنهار الدماء التي سفكت في الحرب العراقية – الإيرانية إلى أنهار من الكوكاكولا.

هل ممكن أن ينقلب الرجل على نفسه مئة وثمانين درجة؟..

وهل يمكن لكل هذا الخراب أن يتكوم في المدن العراقية والإيرانية حتى الآن، ولعشرات الألوف من الأسرى والمعوقين والأرامل واليتامى، وهل يمكن لجهنم الحمراء التي بقيت تشتعل ثماني سنوات، أن تتحول إلى جنة تجري تحتها الأنهار؟

عندهم كل شيء ممكن.. من إلغاء الأوطان، إلى إلغاء الشعوب، إلى إلغاء التاريخ، إلى إلغاء الذاكرة.

لقد استقبلت إيران مشروع الرئيس العراقي للسلام بشماتة كبيرة وسخرية أكبر، فها هو شط العرب يعود إليها ملفوفاً بورقة سولوفان.

وها هي مطالب العراق التاريخية تتحول إلى بيوت من ورق..

وها هو التاريخ يبكي حزناً وقرفاً وإشفاقاً على من يكتبون التاريخ بدماء شعوبهم، ثم يلحسون ما كتبوه بعد خمس دقائق!!

المتاجرة بحليب الأطفال

المتاجرة بحليب الأطفال

آخر ما ابتكره الغزاة العراقيون لدولة الكويت، هو المتاجرة بحليب الأطفال.

فقد أعلنت سلطات الاحتلال أن الحصار العالمي المفروض على العراق سوف يطول الأجانب الموجودين في العراق والكويت المحتلة، بما في ذلك أطفالهم.

(انتهى النص)

هذا هو النص الحضاري والإنساني الرفيع، الذي صدر عن سلطات الاحتلال في الكويت.

وهو نص لم نقرأ مثيلاً له في تاريخ كل الغزاة والفاتحين، ولا نعرف له شبيهاً في وقائع كل الحروب القديمة والحديثة.

ولا نتذكر أن هولاكو أو تيمورلنك أو جنكيز خان أو جمال باشا السفاح أو غيرهم من الطغاة المشهورين فكروا في سرقة غذاء الأطفال أو المتاجرة بجثثهم.

وربما كان الإمبراطور السيئ الذكر بوكاسا هو الديكتاتور الوحيد الذي كانت هوايته أن يذبح تلاميذ المدارس، ويخزن لحومهم في ثلاجة قصره، ويقدمها إلى ضيوفه في الولائم الرسمية.

فهل انتقل الرمز الأفريقي البشع إلينا؟ بحيث صار لدينا من له هواية تخزين الرهائن الأجانب في فنادق الكويت والتلذذ بتجويع

أطفالهم؟

وإذا كنا نفهم أن يقاتل النظام العراقي العالم كله، فإننا لا نفهم أبداً أن يقاتل أطفال العالم أيضاً، بكل براءتهم وطهارتهم وطراوة عظامهم.

لماذا نحاول دائماً أن نؤكد صورة (العربي البشع) في مخيلة الإعلام الغربي، ولماذا نعطي هذا الإعلام أخطر سلاح يمكن أن يحاربنا به، وهو سلاح المتاجرة بحليب الأطفال؟

الطفولة لها حصانتها وامتيازاتها، ولا يجوز أبداً مهما كانت الذرائع والأسباب والضرورات الإستراتيجية، أن يسقط الأطفال تحت أقدام المتحاربين.

ثم إنه لا يجوز لنا أن نعطي الإعلام العالمي ذريعة جديدة للتشهير بهمجيتنا وتخلفنا، ولا إنسانيتنا!

فاللعب بورقة الطفولة لعبة بمنتهى الحساسية والخطورة لأن الرأي العام العالمي يمكنه أن يتسامح بأي شيء، والعفو عن أية جريمة إلا جريمة تجويع الأطفال.

سلام عليك.. يا مصر

سلام عليك.. يا مصر

كشفت أزمة الخليج القناع عن وجوه الكثير من الرجال والزعماء والأنظمة في المنطقة العربية، كما كشفت عن صدق الصادقين، ونفاق المنافقين.

ففي حين نجحت مصر بامتياز في كل المواد التحريرية والشفهية للامتحان، نال البعض صفراً في المعلومات، وفي الثقافة السياسية العامة، وفي السلوك.

كان بإمكان مصر أن تكون مع الذئب ضد الحمل، ومع القاتل ضد القتيل، ومع الرصاصة ضد الوردة، ومع جنازير الدبابات ضد عظام الأطفال.. ولكنها بقيت مخلصة لتراثها الإنساني ولحضارتها التي أضاءت وجه العالم منذ خمسة آلاف سنة.

كان بإمكان الرئيس حسني مبارك أن يتملق شريكه في مجلس التعاون العربي صدام حسين، ويطبطب على كتفيه، ويهنئه على اغتصاب الكويت وتسجيلها في السجل العقاري باسمه.. وتحويل الشعب الكويتي إلى شعب من اللاجئين.

كان بإمكان الرئيس حسني مبارك أن يلبس ملابس الحرباء كما فعل سواه من محترفي النضال الكاذب، ولكنه تصرف كفارس حقيقي، فدافع عن الحمل.. وطلب من الذئب أن يعود من حيث أتى.

مصر كانت كبيرة بكل شيء، كبيرة بموقفها، وكبيرة بأخلاقها،

وكبيرة بمناقبيتها، وكبيرة بقيمها العربية، ومُثُلها العليا.

فهي لم تنافق، ولم تساوم، ولم تغش في ورق اللعب، ولم تجامل الغني على حساب الفقير، ولا القوي على حساب الضعيف.

مصر لم تلعب على حبال النزاعات العربية، ولم تبع ولم تشتر من خلف الكواليس.. ولم تنط كبهلوانات السيرك بين الأبيض والأسود.. وبين الكذب والصدق، وبين الليل والنهار.. وبين النقيض والنقيض.

مصر تصرفت برقيّ وحضارة، كما تتصرف أية دولة راقية ومتحضرة، ولم تلجأ إلى الماكيافيلية والخداع، والتكتيكات السياسية الرخيصة، كما فعل البعض في مؤتمر القمة الذي انعقد في القاهرة.

مصر هي مصر التي نعرفها، ونحبها، ونحترمها، فهي -على فقرها- لم تقبض (كمسيوناً) من أحد ثمناً لتغيير موقفها المبدئي.

وهي -برغم متاعبها الاقتصادية- لم تقبض من أية جهة رشوة لقاء قلب الحق إلى باطل، والباطل إلى حق.

وهي -برغم استبعادها ذات يوم من العائلة- أثبتت أنها أكثر انتماء للعرب من مدّعي العروبة، وأكثر حرصاً على مصالح العائلة العربية، من كثير من المتشدقين والمزايدين والمتحدثين باسم العروبة.

إن الأصيل يبقى أصيلاً، والهجين يبقى هجيناً، كما أن الكبير يبقى كبيراً، والصعلوك السياسي يبقى دائماً صعلوكاً.

وربما كان من حسنات أزمة الخليج -إذا كان لها من حسنات- أنها كشفت عورات هؤلاء المهرجين والنصابين والانتهازيين، الذين يبيعون شرفهم القومي بعشرة دنانير عراقية.. ويبيعون العرب كلهم بقشرة بصلة.

نعم.. كويتيون
حتى نخاعنا

نعم.. كويتيون حتى نخاعنا

لم يعد إخضاع الشعوب بقوة الآلة الحربية أمراً سهلاً في بدايات القرن الواحد والعشرين.

فالشعوب، حيثما كانت، ومهما كانت صغيرة، وقليلة العدد، اكتسبت مناعة روحية تجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها أمام أي محاولة لاقتحامها أو لاحتلال إرادتها.

والنموذج الكويتي في المقاومة الشعبية، يدعو إلى التأمل والإعجاب لأنه نموذج الشعب الصابر، الأصيل، الأخلاقي، الذي رفض أن يكون لقمة بين أسنان الحوت الكبير.

ولو أن كل الحيتان الضخمة، تفكر أن الأسماك الصغيرة لها الحق بأن تعيش وتتوالد، وتشكل مجتمعات ديمقراطية حرة، لعاش البحر في طمأنينة وسلام.

ولقد أثبتت التجربة المأساوية التي تعرض لها الوطن الكويتي الصغير أخيراً، أن سمكة «الزبيدي»، الرقيقة، اللطيفة، المسالمة، تستطيع أن تقطع حبال صياديها، وأن تقلب مراكبهم وسفنهم الحربية.

إن السمك الصغير لا يموت بسهولة، وهو قادر دائماً على الدفاع عن وجوده عندما يرتفع الموج، وتنفجر العاصفة.

كل الأسماك الكويتية، داخل الوطن وخارجه، انضمت إلى حركة

المقاومة، فلم يتخلف النساء، والأطفال، والمرضى، عن الالتحاق بالمسيرات العفوية والغاضبة التي انفجرت في كل عاصمة من عواصم الدنيا.

كان الالتحام مدهشاً بين أعضاء الأسرة الكويتية، وكان الغضب ساطعاً، بحيث لم يستطع العدوان أن يجد في الجسد الكويتي ثغرة واحدة يستطيع أن يتسلل منها.

طبعاً.. إن الشعب الكويتي له أيضاً كسائر الشعوب، مشكلاته وقضاياه الداخلية، ولكنه في اللحظات التي يتعرض فيها مصير الكويت كوطن، وأمة، وتراث، وتاريخ، إلى الخطر.. فإن كل الخلافات الداخلية توضع على الرف.

كل قضايا العائلة الكويتية مؤجلة.. في الوقت الحاضر، ولا يوجد على جدول أعمالنا في هذه الأيام سوى بند وحيد وواحد: «ارفعوا أيديكم عن الكويت».

عندما
تشهر الدبابة إسلامها

عندما تشهر الدبابة إسلامها

«في اليوم الثاني من أغسطس (آب)، انفتح باب السماء، بإذن الله أمام العراق، وويل لمن تنفتح له أبواب السماء، ويتأخر عن فرصته فيها، وويل لنا من عذاب الله إن تأخرنا عن واجباتنا تجاهه..».

مجلس قيادة الثورة

بغداد في السابع عشر من محرم 1411هـ

الموافق الثامن من أغسطس (آب) 1990م

إن الذي يقرأ هذا النص الصادر عن مجلس قيادة الثورة في العراق، إثر اجتياح القوات العراقية المسلحة لدولة الكويت، يتصور أنه أمام نص للإمام الشافعي، أو للإمام أبي حنيفة، أو لواحد من أئمة المتصوفة كجلال الدين ابن الرومي، أو محي الدين بن عربي، أو لشيخ الجامع الأزهر.

ولكنه حين يرى توقيع مجلس قيادة الثورة العراقي تحته، لا يستطيع أن يمنع نفسه من الضحك، والقهقهة بصوت عال.

هل يمكن أن يتحول مجلس قيادة الثورة العراقي، بين يوم وليلة، إلى «ملالي» وأئمة مساجد وشيوخ طريقة ومتصوفة؟

ثم هل يمكن أن يتحول النظام العراقي، من نظام علماني لا يؤمن بالسماء، ولا بتعاليم السماء، إلى نظام معمم وملتحٍ، ويؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويحج إلى بيت الله، ويأمر

بالمعـروف، وينهـى عـن المنكـر؟!

وإذا كان النظـام العراقـي، على هـذه الدرجة من التنسّـك والتدين، والتمسـك بشـعائر الديـن الإسـلامي الحنيـف، فلـماذا قاتـل النـاس في إيـران ثمـاني سـنوات كاملـة، وقتـل منهـم نصـف مليـون، دون أن يسـتغفر اللـه ويشـعر بالندامـة؟

وإذا كان النظـام العراقـي يخـاف اللـه ويسـعى لمرضاتـه، فلـماذا يقتـل النفـس التـي حـرم اللـه قتلهـا؟ ولمـاذا يمـارس جنـوده أعـمال السـبي والنهـب واغتصـاب مضيفـات الطـيران في وضـح النهـار؟

وإذا كان النظـام العراقـي يؤمـن باللـه والرسـول واليـوم الآخـر.. ولا يـأكل الـدم والميتـة ولحم الخنزيـر.. فلـماذا أكل السـاعات والثلاجات والتلفزيونـات والسـيارات.. وفتك بالأخضر واليابـس كما تفتك الزلازل بالمـدن الجميلة؟

هـل يمكـن أن يغـير نظـام من الأنظمـة جلده بمثـل هذه السـهولة، فيتحـول مـن كارل ماركـس إلى أبي ذر الغفاري؟

وهـل يتصـور النظـام العراقـي أن أحداً يصدق (دروشـته) وتنسـكه وتقواه؟

هل يتصور أننا سوف ننخدع بجبّته ومسبحته ولحيته الطويلة؟

إننـا نعـرف أن النظـام العراقـي أصبـح محـاصراً في الزاويـة.. لذلـك فهـو يخـرج المناديـل الملونـة مـن قبعتـه.

مرة يخرج منديل العروبة..

ومرة يخرج منديل الإسلام..

ومرة يخرج منديل الأماكن المقدسة..

ومرة يخرج منديل الأسلحة الكيميائية..

ومرة يخرج منديل الرهائن.

ولكـن العـالم -كـما يبـدو- لم يعـد يؤمـن بالحـواة ولا بالمناديـل الملونـة، فهـو يعـرف أن كل مـا يطرحـه النظـام العراقـي ليـس سـوى إشـارات الاسـتغاثة الأخـيرة قبـل غـرق السـفينة.

طبعـاً.. نحـن لا نريـد كعرب لسـفينة العـراق أن تغـرق، وهي التي كنـا نطمح أن توصلنا إلى شـاطئ السـلامة.

ولكـن النظـام بـكل عنـاده هـو الـذي فتـح عـشرات الثقـوب في خـاصرة السـفينة، حتـى أوشـكت أن تغـرق.. وتغرقنـا معهـا.

إن اللعـب بورقـة الديـن هـو نـوع مـن أنـواع التكتيـك والمراوغـة السياسـية، وليـس عمـلاً مـن أعـمال الديـن والـورع.

فالفظائـع التـي ارتكبهـا الجيـش العراقـي -المظفّـر- عـلى أرض الكويـت تتنـافى مـع تعاليـم الإسـلام وجميـع الأديـان السـماوية.

لذلـك، فـإن المطلـوب مـن الجماهـير الطيبـة في الشـارع العـربي، ألا تندفـع وراء الشـعارات الدينيـة البراقـة التي يطرحها النظـام العراقي، فهـي ليسـت أكثر مـن بضاعة مغشوشـة وفاسـدة.

إن المسـدس لا يمكـن أن يشـهر إسـلامه.. والدبابـة لـن يُسـمح لهـا أبـداً بدخـول الجنـة..

بابا صدام
وأطفال الإنجليز

بابا صدام وأطفال الإنجليز

هـذا الخـراب الكبـير الـذي أحدثـه الرئيـس صـدام حسـين في بنيـة التاريـخ العـربي خـلال شـهر واحـد، كيـف يمكن ترميمـه، ومـا الوقت الـذي يتطلبـه هـذا الترميم؟

خـراب هائـل ضرب كل قطاعـات حياتنـا، سياسـياً، واجتماعيـاً، واقتصاديـاً، وثقافيـاً، ونفسـياً، وأرجعنـا ألـف عـام إلى الـوراء.

شـخص واحـد.. خطـر لـه أن يقامـر بـكل مـا في الوطن العـربي من شـجر، وبـشر، وتاريـخ، وتقاليـد، وتـراث، وأطفـال، ونسـاء، وتلاميـذ مـدارس، وجامعـات، ومكتبـات، ورجـال أعـمال، وأُجَـراء، وأغنيـاء، وشـحاذين.

شـخص واحـد.. أحـرق وجه الوطـن بالأسـيد، وجلس أمـام كاميرات التلفزيـون بكامـل أناقتـه، ومواهبـه.. ليطبطـب عـلى أكتـاف الأطفال الإنجليـز.. ويسـألهم بأبّـوة مصطنعة، إذا كانوا «متونسـين» في بغداد.. وإذا كانـوا قـد نامـوا جيداً.. وشربوا كـوب الحليب اليومـي.. أي أبوة؟ أي نـوم؟ أي حليـب؟ يا سـيادة الرئيس.

وإذا كان بالـك مشـغولاً عـلى الأطفال الإنجليز.. فلماذا لم تسـأل عن الأطفـال الكويتيـين الذيـن طردتَهـم من بيوتهـم ومدارسـهم، ورميتهم على قارعـة الطريق؟

ولمـاذا لم تسـأل عـن الأطفـال المصريـين الذيـن مـات نصفهم عطشـاً

وجوعاً وتعباً، وهم يخترقون الصحراء إلى الحدود الأردنية؟

كيف يمكن أن تكون الأبوة (إنجليزية) أو (دانماركية) أو (نمساوية).. ولا تكون أبوة (كويتية) أو (مصرية).. وأنت الذي تدّعي أنك أبو العرب وملكهم، وإمبراطورهم، وحامي حماهم.. من المحيط إلى الخليج؟

شخص واحد تسبب بكل هذا الخراب دون أن يقرأ الفاتحة، أو يسمّي بالرحمن، أو يستفتي قلبه، أو يستفتي شعبه.

وإذا كان الخراب الاقتصادي الذي أجهض كل مشاريع التنمية، والاستثمار والتعمير في الوطن العربي، وهز دعائم الدخل القومي، وحوّل الثروة العربية في أيام معدودات إلى رماد.

أقول: إذا كان الخراب الذي حل بالاقتصاد العربي مخيفاً، فإن الخراب النفسي الذي لحق بالنفس العربية أشد وأدهى.

وإذا كان الخراب الاقتصادي قابلاً للترميم، فمن يرمم النفس العربية مما أصابها من رضوض وكسور وخيبات أمل؟

إن ما يشغل بالي حقاً في أزمة الخليج، ليس الخسائر المادية التي أصابت المنطقة، فكل الأزمات المادية يمكن تجاوزها مع الزمن، ولكن ما يشغل بالي هو هذا الزلزال الروحي الرهيب الذي هز نفوس أطفالنا واغتال أحلامهم الجميلة بالوحدة الكبرى.

لقد أعطى النظام العراقي للأجيال العربية الجديدة درساً مرعباً في الوحدة، حين استيقظ الأطفال في فجر 2 أغسطس (آب) ليجدوا أن الدبابات هرست عظامهم، وأوراقهم، وأقلامهم، وأحلامهم الوحدوية التي تعلموها في الكتب المدرسية.

كيف نعتذر لهؤلاء الأطفال، حين يكتشفون أن الوحدة العربية

التـي بشرناهـم بهـا قـد حولتهـم إلى مشرديـن ولاجئـين ويتامـى، وأن الاسـتعمار العـربي، لا يقـل شراسـة وهمجيـة عـن الاسـتعمار الغـربي؟

ومـاذا نقـول للأطفـال الذيـن علمناهم منـذ ولادتهـم أن العرب أمة واحـدة وعائلـة واحـدة، وكيان واحـد، وأن الوحدة هـي قدرهم الأول والأخـير.. عندمـا يكتشـفون أننا كنا نكـذب عليهم؟

الخطـير في الأمـر أن الدبابـات العراقيـة لم تحفـر طريقها في شـوارع الكويـت فقـط، ولكـن جنازيرهـا حفـرت طريقهـا في نفـوس الأطفـال الكويتيـين، وفي عقولهـم، وفي مخيلتهـم.

فالأطفـال الكويتيـون الذيـن كانـوا يصفقـون للرئيـس صدام حسـين عندمـا كانـوا يرونـه على شاشـة التلفزيـون، يداعب الأطفـال، ويتودد إلى الجنـود، ويـواسي أبنـاء الشـهداء، لم يصدقـوا أن بطلهـم المغـوار يمكـن أن يدخـل عليهـم وهـم نائمـون في فُرُشـهم، ويجردهـم مـن ثيابهـم، وألعابهـم، وضحكاتهـم، وحصالات نقودهم. وساندويشـاتهم.

وطن مسروق

وطن مسروق*

عن الكويت، وطننا المسروق، سأتحدث إليكم..

سرقات كثيرة تحدث أمام سمع التاريخ وأمام بصره.

بعض هذه السرقات يموت مع مرور الزمن، ويحفظ في خزائن النسيان.

وبعض هذه السرقات يبقى حياً وساخناً ومطروحاً أمام القضاء لأن أصحاب الحق يصرون على استعادة أشيائهم المسروقة.. وأوطانهم المسروقة.

والكويت هي وطن مسروق.. سيادته مسروقة، وأرضه مسروقة، وبحاره مسروقة، وثروته مسروقة، وكرامته مسروقة، ومواطنوه مسروقون من ديرتهم، ومن أسمائهم، ومن هويتهم.. هذا هو الواقع العسكري.

أما الواقع النفسي فشيء مختلف تماماً، لأن الكويتيين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم واتجاهاتهم وأفكارهم، يرفضون مبدأ السرقة جملة وتفصيلاً.. ويتمسكون برقبة السارق وثيابه، حتى يستعيدوا كل ذرة تراب من وطنهم المسروق.

ولعلكم تعرفون، من الصحف ووكالات الأنباء، أن الذي سطا على الكويت في فجر الثاني من أغسطس (آب)، أصبح محاصراً سياسياً

* ألقيت في مؤتمر الاتحاد العام للطلبة الكويتيين - واشنطن ١٩٩٠/٩/١

وعسكرياً واقتصادياً ودبلوماسياً في كل مكان، وأن الرأي العام العالمي معبأ تعبئة شاملة ضده، ويطالبه بالانسحاب الفوري من الكويت، وإعادة السلطة إلى أصحابها الشرعيين.

ورغم هذا الحشد الهائل من الأساطيل البحرية، فإنني لا أعتمد إلا على الكويتيين في صلابتهم وثباتهم، وطريقهم هو طريق المقاومة الذاتية.

وهو طريق عرفته جميع الشعوب خلال التاريخ لتحرير أرضها من التبعية، والقهر والاستعمار.

هذا هو الطريق الوحيد الواحد، الذي لا بد لنا أن نقطعه لاستعادة بلادنا المسروقة، واسترجاع مفاتيح البيت الكويتي.

يجب على الكويتي من الآن فصاعداً، أن ينظم قواه الذاتية، ويجند نفسه للدخول في مقاومة طويلة.. مع الوجود العراقي بكل أشكاله وممارساته وآلته الحربية.

وعلى الكويتي أن يعرف أن زمان الكسل والرفاه وارتشاف كؤوس الشاي والقهوة المرّة قد ولّى.

لا بد للكويتي من الخروج من مرحلة الاسترخاء والقيلولة، فقد دخل السيف في خاصرة الكويتيين، دون أن يتوقعوه أو يحسبوا حسابه أو يستعدوا له.

وأمام هذا الواقع التراجيدي الجديد، لا بد للكويتي من تغيير عاداته القديمة، لا بد للكويتي من أن يعيد النظر في نفسه، وفي فكره، وفي سلوكه، كما لا بد أن يفهم أحوال الكون، وأسرار السياسة ولعبة الأمم.

فبعد الغزو العراقي، لم يبق أمام الكويتيين سوى خيار واحد.. لا

ثـاني له، وهـو المقاومة واتبـاع سياسـة الأرض المحروقة.

كل كويتـي يسـتطيع أن يقـاوم مـن موقعـه؛ فالجنـدي مـن موقعه العسـكري، ورجـل الاقتصـاد مـن موقعـه الاقتصـادي، والأديـب مـن موقعـه الأدبي، وطالـب الجامعـة مـن موقعـه الجامعـي، والمـرأة الكويتيـة مـن موقعهـا الاجتماعـي والتربـوي.

المعركـة مفتوحـة أمامنـا جميعـاً، ولا عـذر لأحـد إذا تخلـف عـن المعركـة، لأنـه سـيعتبر هاربـاً مـن الجنديـة.

لا يـزال الجـرح طازجـاً، ولا يـزال الاحتـلال هشـاً، وقابـلاً للكسر، ولا يـزال العـالم يتعاطـف معنـا.. فعلينا أن نبقـى مسـتنفرين، ومجندين، ومزروعـين عـلى الخطـوط الأولى ليـلاً ونهاراً.

المهـم أن نبقـى دائماً وراء قضيتنا، حتـى لا تتحول إلى قضية تاريخية مزمنـة، كعشرات القضايا الأخرى التي نسـيها العالم.

إن المسـألة بالنسـبة للكويتيـين هـي أن يكونـوا أو لا يكونـوا، كـما يقـول شكسـبير.

ولقد اخترنا أن نكون.. أن نكون.. أن نكون.. أن نكون.. بإذن الله.

يوميات امرأة كويتية
في المنفى..

يوميات امرأة كويتية في المنفى

-1-

أكتب إليكم هذه الرسالة من (الشتات)..

و(الشتات) كلمة جديدة جداً علينا نحن الكويتيين.

فلقد كان لنا قبل 2 أغسطس (آب) 1990 وطن صغير، رقيق، مسالم، ينام كالوردة على شاطئ الخليج..

ولكن جاراً هجم علينا تحت جنح الظلام بدباباته، ومدرعاته، وعساكره، واحتل البيت الذي كان ينام كالوردة على شاطئ الخليج.. وسرق خواتمنا، وأساورنا، ودراهمنا، وفرحنا وضحكات أطفالنا.. وجعلنا كلاجئي القوارب الفيتناميين ترفضنا المرافئ..

-2-

نحـن -لاجئـي القـوارب الكويتيـين- كان لنـا قبل 2 أغسـطس (آب) 1990 رقعـة صغـيرة مـن الأرض، كان أجدادنـا يعيشـون عليهـا مـن مئـات السـنين، يصارعـون المجهـول، ويقاتلـون أمـواج البحـر، وسـمك القـرش، وظـلام الأعـماق، بحثـاً عـن حبة لؤلؤ صغـيرة يشـترون بثمنها خبـزاً لأولادهـم وثياباً لنسـائهم.

ولكـنّ أخـاً يسـكن في جوارنـا، هجـم علينـا قبـل طلـوع الفجـر.. وصـادر قواربنـا، وشـباكنا، وسرق حبـات اللؤلـؤ التي جمعناهـا بعرقنا ودموعنـا.

-3-

(الشتات).. كلمة فظيعة جداً..

كلمة لم نكن نعرفها من قبل..

ولا نعرف كيف تلفظ.. ولا نعرف كيف تُكتب..

ولكـنّ جارنـا العزيـز -أكـثر اللـه مكرماته، ونـصره في فتوحاتـه، وزاد في عـدد صواريخـه ودباباتـه- أدخلها إلى القامـوس العربي، بحيث صار الشـتات الكويتي واقعاً بعد الشـتات الفلسـطيني.. والشتات اللبناني..

وكل قائـد مظفـر، ونحـن مشـتتون ومنفيـون ولاجئـون فـوق كل كوكـب..

-4-

ما هو الشتات؟..

الشتات هو أن تستيقظ ذات يوم فتجد نفسك مقذوفاً خارج سريرك، وخارج جسدك، وخارج دورتك الدموية.

الشتات هو أن تستيقظ ذات يوم فتجد نفسك مقتلعاً من جذورك، وممحواً من دفاتر الزمان والمكان.

الشتات هو أن تستيقظ ذات يوم فتجد نفسك ممنوعاً من الدخول إلى بلدك، وممنوعاً من الدخول إلى لغتك.. وممنوعاً من الدخول إلى داخلك.

الشتات هو أن يسرقوا منك مفاتيح الوطن.. ويتركوك نزيلاً في فندق الحزن.

-5-

الشتات كلمة قاسية.. ودامية.. ولها طعم الحنظل..

والذين سبقونا إلى الشتات من أرمن وآشوريين، وتركمان وأكراد، وهنود حمر، وروس بيض، وألبانيين، وفيتناميين، وكمبوديين، وكوريين، وأريتريين، وسريلانكيين، وفلسطينيين، ولبنانيين.. يستطيعون أن يشرحوا للكويتيين كيف يمكنهم أن يتأقلموا مع هذا الموت اليومي، الذي يسمونه المنفى.

-6-

لماذا غزانا الجار العزيز؟

لأن الكويت هي زائدة دودية على الخريطة..

لذلك أخذ المقص من جارور مكتبه، وقطعها..

لم يستعمل المخدر ولا القطن، ولا السبيرتو، ولا الضمادات الطبية..

وإنما فتح بطن الأمة العربية بالبلطة، وتركها تنزف.

إنها أول عملية جراحية من نوعها في التاريخ، يقوم بها حلاق مضطرب، لا يحمل شهادة في الجراحة، ولا شهادة في الحلاقة..

فإذا كانت الوحدة العربية العتيدة سوف تتم على يد الحلاقين..

فما أجمل الانفصال!

-7-

دبابات النظام العراقي التي اجتاحت بلادي..

لم تطحن جسد الكويت فحسب..

وإنما طحنت جسد كل مشاريع الوحدة العربية..

لألف سنة قادمة..

-8-

إذا كان النظام العراقي يريد أن يسرق المحفظة فقط..

فألف مبروك عليه..

ولكـن لمـاذا يربـط سرقـة المحفظـة بأيديولوجيـة الوطـن العـربي الكبـير..

إن السرقة هي المهنة الوحيدة التي ليس لها أيديولوجيا.

-9-

سـيارات المرسـيدس 500 الكويتية الأرقام، التي تملأ شـوارع بغداد.. وضعـت بطاقـة على قبر الأسـتاذ ميشـيل عفلـق، كتبت عليهـا العبارة التالية:

«أمة عربية واحدة.. تركب سيارات مرسيدس واحدة»!

-10-

ينتقل النظام العراقي بين (القادسيات) كأنه يركب على موتوسيكل..

فمن قادسية (كردستان)..

إلى قادسية (إيران)..

إلى قادسية حقول النفط في (الرميلة) و(الأحمدي)..

ولكن أين قادسية (إسرائيل) التي وعدنا بها النظام العراقي قبل أن يأكل الكويت؟

كنا ننتظر منه أن يحرق (نصف) إسرائيل.

فإذا به يحرق (كل) الكويت..

فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون..

من أوراق
المقاومة الكويتية

من أوراق المقاومة الكويتية

-1-

صار عمر المقاومة الكويتية شهراً وبضعة أيام..
أي أنها لا تزال طازجة، ويافعة، وطرية العود..
ومع هذا فهي تضرب بقوة..
تضرب في الليل، وتضرب في النهار..
وتضرب فوق الأرض، وتضرب تحت الأرض..
وتضرب بقضبان النوافذ، وتضرب بسكاكين المطبخ..
وإذا اضطرت فسوف تضرب ببيبرونات الأطفال، وحقائب تلاميذ المدارس.

-2-

الذيـن يقولـون إن الحـوت العراقـي، ابتلـع الكويت، وانتهـى الأمر..
لا يعرفـون شـيئاً عـن حركـة البحـر، ولا عن حركـة التاريخ..
فالكويتيون أساساً من سلالات بحرية..
وهم يعرفون جيداً أحجام الحيتان، وعدد أسنانها، وطرق صيدها.
عندمـا تشـبع الحيتـان، يصبـح بإمكان أية سـمكة انتحاريـة صغيرة، أن تلتصـق بهـا، وتفجرهـا بكل غطرسـتها وجبروتها.

-3-

لا تخافوا علينا..
فنحن –الكويتيين- ولدنا من زبد البحر..
والصراع مع أسماك القرش، بعض هواياتنا.

-4-

لا تخافوا علينا..
فالأسـماك الصغـيرة تتناسـل بسرعة، وتتكاثـر بسرعـة، وتتجمع أمام العاصفـة بسرعة.
أمـا الحيتـان الكبـيرة، فإنهـا تحمـل شـيخوختها وموتهـا، في أمعائهـا الغليظة.

-5-

الذيـن يقولـون إن المقاومـة الكويتيـة لـن تسـتطيع أن تجابـه 150 ألـف جنـدي عراقـي مسـلحين حتـى أسـنانهم، نقـول لهم:

إن العصفور يدافع عن عشه..

والنحلة تدافع عن خليتها..

والنملة تدافع عن مسكنها..

والحصان يدافع عن أنثاه..

والدّيك يدافع عن دجاجاته..

فلـماذا لا يتعلـم الكويتـي مـن النمـل، والنحـل، كيـف يدافـع عـن بيتـه، ورزقـه، وعيالـه؟

أما قضية القلة والكثرة، فلا تلعب دوراً كبيراً في حرب العصابات:

«تعيرنا أنّا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليل».

-6-

ليس أمام الكويتيين سوى المقاومة..

فالحـوار مـع الحيتـان، كالحـوار مـع الطرشـان، عبـث، وسراب، ومضيعـة للوقـت.

-7-

قد نكون مبتدئين في علم المقاومة..

ولكـن العلـوم مهـما كانـت صعبـة، فإنهـا لا بـد أن تعطـي أسرارهـا للذيـن يدرسـون جيـداً، ويذاكـرون جيـداً، ويعرفـون ربهـم ووطنهـم جيداً.

قد نكون في مرحلة طفولتنا الثورية..

ولكننـا مـع الوقـت سـنكبر، وننضـج، وتزيـد معرفتنـا القتاليـة، وسـنتخرج في جامعـة المقاومـة بدرجـة جيـدة جيـداً.

-8-

كان الكويتـي، قبـل الاجتياح، يفلسـف الأشـياء ببسـاطة وشـاعرية، ويقـول -كـما كان يقـول اللبنانيـون في عصرهـم الذهبـي-: إن قـوة الكويـت في ضعفهـا..

كلام فارغ.. فارغ.. فارغ..

بعـد أن دخـل الخنجـر في خاصرتنـا، صـار الكويتـي يؤمن، كنيتشـه، بفلسـفة جديـدة تقـول: إن قـوة الكويت هـي في أظفارهـا.. وأنيابها.. وقـوة عضلاتهـا.. وممارسـتها (لعبـة الكاراتيـه)، في السـلم والحرب..

-9-

زمان (الوصل في الأندلس) أدى إلى سقوط الأندلس..
وزمان الدلال والاسترخاء في الكويت، أدى إلى سقوط الكويت..
وأرجو ألا تجرحكم تشبيهاتي الجارحة..
فإنني، ككاتبة كويتية، لا بد أن أبصق الحصاة.

-10-

عندما سيتحرر تراب الكويت من الغزاة.. ونرجع إلى منازلنا بإذن الله، سيكون على رأس أولوياتنا:

1- ممارسة النقد الذاتي، وفتح ملفات حسناتنا وسيئاتنا، وإعادة تقييم أنفسنا بشكل علمي وموضوعي.
2- أن نرفع أسوار الكويت عالياً عالياً.. حتى لا يستوطي العالم حائطنا.. فندعو إلى الخدمة الإجبارية، ونشكل جيشاً شعبياً، ونشتري (الكيميائي المزدوج).. إذا لزم الأمر.. بعد أن ثبت لنا أن الكيميائي المزدوج.. أحرقنا نحن، ولم يحرق إسرائيل..
3- يجب ألا نتخلى عن منهجنا الديمقراطي، بل على العكس، علينا أن نزيد شجرة الديمقراطية ارتفاعاً واخضراراً، وأن نتيح لكل مواطن كويتي أو عربي أن يكون شريكاً في الرأي، وشريكاً في الحوار، وشريكاً في الحكم.. فالديمقراطية هي مصدر قوتنا

وبقائنا.

4- أن نتعامل مع الأقوياء بقوة، ومع الغرباء بحذر، ومع الأصدقاء بواقعية، لأن الرومانسية الكويتية أثبتت فشلها.

5- أن نغير سياستنا الإعلامية، بسياسة أكثر ديناميكية، بعد أن ثبت ذلك من خلال تجربتنا المأساوية.

مرة ثانية.. أرجو ألا تتضايقوا من قسوة كلماتي.. فإنني ككاتبة كويتية لا أستطيع أن أكتب بنصف أصابعي.

كشف حساب صغير
للاغتصاب الكبير

كشف حساب صغير للاغتصاب الكبير

بجـرة قلـم، محـا النظـام العراقي نصف قضايـا المنطقـة، إن لم يكن محاهـا جميعاً.

1- القضية الفلسطينية، أسقطها بالضربة القاضية.
2- الوحـدة العربيـة الكـبرى، أعطتكـم عمرهـا.. وتقبـل التعـازي في القـصر الجمهـوري في بغـداد.
3- سمعة العرب أمام الرأي العام العالمي.. صارت زفتاً وقطراناً.
4- منابـع النفـط.. صـارت في قبضـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.. وطوبتهـا في السـجلات العقاريـة.
5- الاقتصـاد العراقـي، رجـع إلى نقطـة الصفـر.. والـثروة العربيـة، أكلـت النـار نصفهـا.
6- التضامـن العـربي أصيـب بذبحـة قلبيـة.. نقلـوه عـلى إثرهـا إلى غرفـة العنايـة الفائقـة..
7- جامعـة الدول العربية أشـهرت إفلاسـها.. وبدأت تبيـع طاولاتها.. وكراسـيها.. وملفاتهـا.. في المزاد العلني.
8- الشـارع العـربي مـضروب عـلى دماغه.. فهـو لا يعرف بـأي اتجاه

يمشي.. وباسم من يهتف.. ومن هو بطل الرواية، ومن هو مخرجها ومن هو ممولها.

9- الأجيال العربية (الصاعدة).. أصبحت أجيالاً هابطة، مسحوقة، ضائعة، مشمئزة، قرفانة، كافرة بكل ما تسمعه.. وما تقرؤه.. عن مروءات العرب، وشهامتهم، وعدالتهم، ودفاعهم عن حقوق الجار، وماله، وعرضه.

10- الثقافة العربية.. تحولت إلى (سوبر ماركت) كبير، يباع فيه المسيح بثلاثين من الفضة.. والمبادئ الثورية بنسبة مئوية من واردات النفط الكويتية.. ويباع فيه كارل ماركس بكيلو سمك (مسقوف) ويباع فيه الكلاشينكوف مع الكوفية والعقال لقاء وعد بتحويل دولة الكويت.. إلى (وطن موعود) لأبي عمار.

11- انقسمت اللغة العربية إلى اثنتين وعشرين لغة.. لكل لغة منها مفرداتها، وأسماؤها وإعرابها.

●●●

اللـه.. مـا أفظـع وما أبشـع ما شـاهدناه على خشـبة المـسرح العربي خلال شـهر واحد..

بعض الثوار تحولوا إلى بائعين متجولين..

وبعض الأحرار أطلقوا الرصاص على الحرية..

وبعض القوميين العرب، أثبتوا أنهم غير قوميين.. وغير عرب..

وبعـض فلاسـفة الثورة.. امتطوا الدبابات، ودخلـوا الكويت في ركاب النظـام العراقـي.. ظناً منهم أنهـا تل أبيب.

●●●

مشـاهد.. تراجيكوميديـة.. مـرت أمامنـا، حتى خيل لي أننا في سـيرك متجـول.. أو أننـا نشـاهد عرضاً من عـروض أراجوز..

أقنعة شمعية..

ومواقف زئبقية..

وبطولات وهمية..

ومقالات صحافية مدفوعة الأجر..

وأيديولوجيات.. بلا أيديولوجيا..

ومتدينون.. بلا ديانة..

ومناضلـون ربطـوا قضيتهـم بحنفيـة النفـط التـي سـيفتحها النظام العراقـي لهـم.. بعـد اسـتيلائه عـلى حقـل الرميلة.

ثقافة التهريج
على مسرح الخليج

ثقافة التهريج على مسرح الخليج

أود أن أعقب هنا على مقالة أستاذنا الكبير الدكتور حسن الإبراهيم، التي كشف فيها أوراق بعض المفكرين العرب، ومواقفهم الجبانة والهروبية من أحداث الخليج، وطالبهم فيها بالانتحار، لأنهم خانوا رسالتهم الفكرية، وتخلوا عن شرف الكتابة ومناقبيتها.

والواقع أن الدكتور حسن الإبراهيم وضع يده على الجرح الذي ينزف في أعماقنا جميعاً كمثقفين ملتزمين بقضايا أمتنا وقضايا الإنسان، فأمام الخراب المخيف الذي تركه الغزو العراقي لدولة الكويت، على الخارطة السياسية والقومية والاقتصادية والتنموية والاجتماعية والنفسية، للعالم العربي.. لا بد للمرء أن يتساءل: أين هم المثقفون العرب من هذا الزلزال العنيف الذي عصف بالحياة العربية، وقلبها رأساً على عقب؟

أين المنظرون والأيديولوجيون والمثاليون، الذين طالما أمطرونا بآلاف المحاضرات عن الحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان؟

أين هؤلاء الذين كانوا يتباكون على مأساة الإنسان في نيكاراغوا وباناما وجنوب أفريقيا وجزر الفوكلاند وجزر الواق واق؟

أيـن هـؤلاء مـن مذبحـة العـصر التـي تعرضـت لهـا دولـة خليجيـة صغـيرة اسـمها الكويـت في اليـوم الثـاني مـن أغسـطس (آب) 1990؟

أيـن المناضلـون الأشـاوس الذيـن (فلقونـا) بمواعظهـم الميتافيزيقيـة والماكيافيليـة خـلال أربعـين عامـاً، ودخلـوا عـشرات المعـارك الدونكيشـوتية دون أن تنـزف قطـرة دم واحـدة منهـم.. أو تتكرمـش قمصانهـم المنشّـاة وبدلاتهـم المكويـة؟

أيـن هـؤلاء التقدميـون الذيـن كانـوا يضعـون فـوق مكاتبهـم.. صـور هـوشي منـه وتـشي غيفـارا وماوتـسي تونـغ ونلسـون مانديـلا.. ولا يعرفـون عـن شـهيد كويتـي، سـقط وهـو يـرد الطغـاة عن أسـوار مدينتـه؟

فهـل دم تـشي غيفـارا، عنـد بعـض مثقفينـا، أكـثر نقـاء مـن دم الشـهداء الكويتيـين الذيـن سـقطوا تحت جنازيـر الدبابـات العراقية؟

إننـي لا أفهـم كيـف يمكـن لمثقـف عـربي ملتـزم أن يلبـس في كل مناسـبة قناعـاً، ويرقـص في كل عـرس رقصـة، فيكـون أفريقيـاً يـوم الخميـس، وآسـيوياً يـوم الجمعـة، وأمريكيـاً لاتينيـاً يـوم السـبت.. ويسـارياً يـوم الأحـد.. وماركسـياً في عطلـة نهايـة الأسـبوع، ولكنـه لا يكـون عربيـاً أو مسـلماً إلا في عيـد الأضحـى وعيـد الفطـر!

وباستثناء بعض المثقفين الشجعان والشرفاء، الذين لم يغيروا وجوههم ولا أصواتهـم ولا مواقفهـم المبدئيـة، فـإن الباقـي من المثقفـين العرب

جلسوا في شرفة المتفرجين في لعبة (الكوريدا) الخليجية، وقلوبهم مع الثور العراقي الهائج، لا مع المصارع الكويتي النحيل الرقيق.

بعض المثقفين العرب راهنوا على الثور لا على الإنسان، وفكروا بحساب الأرباح والخسائر، وكانوا باطنيين وازدواجيين وتجار ثقافة لا مثقفين.

المثقفون الذين أقصدهم ناقشوا كل الأمور على الشكل التالي:

إذا ربح النظام العراقي أطعمنا المنّ والسلوى.. وأنزلنا في فنادق بغداد.. وأهدى كل واحد منا سيارة.

وإذا عاد الكويتيون إلى الكويت فسوف يعفون عن خطايانا، لأن قلوبهم الكبيرة لا تتسع للحقد والضغينة.

هذا هو منطق (السوبر ماركت) الذي لجأ إليه بعض المثقفين العرب، وهو منطق لا يختلف أبداً عن منطق سماسرة البورصة، والباعة المتجولين.

إن الثقافة بمعناها الشمولي هي موقف من الإنسان في صراعه من أجل الحق، والعدل والحرية.

أي أن الثقافة لا يمكن أن تتحالف مع الشر ضد الخير، ومع العتمة ضد النور، ومع الخنجر ضد الجرح، ومع الرصاصة ضد الوردة، ومع القاتل ضد الضحية.

ثم إن الثقافة لا يمكن أن تكون محايدة في قضية كبرى كقضية

الحريـة، وبالتـالي لا يمكـن للمثقف أن يقف في نقطة الوسـط بين الحرية والعبوديـة، وإلا تحـول إلى لاعب سـيرك.

وبـكل أسـف، لقد كشـفت أحـداث الخليج عـن أكثر من مهـرج ثقافي، وأكـثر مـن متذبـذب، وأكـثر من بائع شـنطة.. لم يخجلوا مـن الوقوف مع الباطـل ضـد الحـق.. ومع جنازيـر الدبابات ضد عظام الشـعب الكويتي.

وثمـة مثقفـون آخـرون اختبـؤوا في جحورهـم، وامتنعـوا عـن الكتابـة، والإدلاء بـأي تصريـح بانتظـار نتيجـة المعركـة.. وعندئـذ سـيخرجون مـن جحورهـم ليرشـقوا موكـب المنتـصر بأكاليـل الغـار.

إن سوق النفاق الثقافي في ذروة ازدهاره هذه الأيام.

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الأول

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الأول

هل صار حب الإنسان لوطنه عاراً، أو عيباً، أو جريمة تستحق الشنق؟

وهل صار انتماء الإنسان إلى ثدي أمه، وفصيلة دمه، وسقف بيته، وتراب آبائه وأجداده، تهمة تعادل الخيانة العظمى؟

نعم.. نعم.

هذا ما يتشدق به (الوطنجيون) في هذه الأيام التي أصبحت فيها الوطنية سيارة بلا عجلات.. ولا سائق..

وهذا ما يكتبه الثوريون، والمؤدلجون، وبائعو بالونات الوطنية الكاذبة على رصيف الشارع العربي.

لماذا؟

لأنك -بكل بساطة- رفضت أن تطحن دبابات الرفيق ميشيل عفلق جثتك، وجثة أولادك، وتفرم ماضيك وحاضرك ومستقبلك خلال خمس دقائق.

(الوطنجيون) ناقمون عليّ..

لأنني اعتديت على عذرية الدبابة، ولم أشكرها حين مرت على

جسـدي، فلقـد كان التهذيبُ وحسـن السـلوك والحضـارة تَفرضُ عليّ، أن أرشـها بالورد والأرز.

و(المؤدلجـون) غاضبـون منـي لأننـي اسـتدعيت البوليـس لينقـذني مـن لصـوص القوميـة العربيـة الذيـن خلعـوا بـاب وطنـي، واسـتولوا عـلى كل مـا فيـه مـن أثـاث وأوانٍ وسـجاد وأجهـزة تكييـف وثلاجات وتلفزيونـات، باعتبـار أن هـذا هـو مـن ممتلـكات الرفيـق ميشـيل عفلـق، بموجـب قوائـم رسـمية مصدقة من القيـادة القطريـة للحزب الحاكـم في العـراق، ونحـن سرقنـاه مـن منزلـه في بغـداد.

والمثقفـون المناضلـون عـلى طـاولات المقاهـي والعقائديـون المحاربـون بأسـلاك الميكروفونـات، والكتّـاب المسـتأجرون في حفـلات الـزار، والثوريـون الواقفـون بالطابـور أمـام حنفيـات النفـط.. كل هـؤلاء متضايقـون منـي، لأنني رفضـت أن يذبح وطني عـلى الطريقة الماركسـية، أو الطريقـة البعثيـة، أو الطريقـة المجوسـية..

والعاطلـون عـن العمـل في مقهـى الوحـدة العربيـة (المغلـق حتـى إشـعار آخـر) أعلنـوا الحرب عـلي، لأنني اخترت وطنـي، ورفضت بيعه في المـزاد العلنـي للعقـداء، والجـنرالات وأصحاب البـدلات الكاكية.

●●●

إنني لست بحاجة إلى أن أتلقى درساً في الوطنية من أحد لأن الوطنية عندي تقوم على أساس حضاري، وديمقراطي وإنساني وعقلاني، ولا تقوم على الجهل والشوفينية والغوغائية وعمى الألوان.

الوطنية لا تكون بالغضب والإكراه وإلغاء إرادة الآخر، وإذا كان النظام العراقي يرى أن تحرير القدس يكون باستبعاد الكويت من الخارطة فإننا نختلف معه كثيراً.

وإذا كان النظام العراقي يعتقد أن الحكم في الكويت هو حكم غير شعبي وغير ديمقراطي.. فهذا شأن يقرره الشعب الكويتي، ولا تقرره جنازير الدبابات.

ولا نريد أن ندخل في مقارنة بين الديمقراطيات في العالم العربي، لأن نتيجة المقارنة لن تكون في مصلحة العراق أبداً.

●●●

إن الذيـن يغنّـون المواويـل عـلى (الوحـدة التـي لا يغلبهـا غـلّاب).. يتهمونـني بالـردة والانهزاميـة وخيانـة القضيـة.. لأننـي كنـت صديقة العـراق، ورفيقـة نضاله، ومنشـدة انتصاراته، ولكنني بعد 2 أغسـطس (آب) 1990 غـيّرت رأيـي، وقدّمت اسـتقالتي..

هـذا صحيـح، فلقـد كنت في خنـدق واحد مـع العـراق، وكتبت فيه أجمـل الشـعر، يوم كان العراق يجسـد لنـا أحلامنا القوميـة، ويحارب دفاعـاً عـن وجودنـا، وعن مسـتقبل أولادنـا، وعن تراث الأمـة العربية وتاريخها.

هـذا هـو موقـف معروف، ومسـجل ومكتـوب، ولا أخجـل منه لأنه جـزء مـن فكـري ومن قناعتـي ومن خطـي القومي.

لكـن العـراق بعدمـا ابتلـع الكويـت، وقـرر أن يحولهـا بالدبابـات إلى المحافظـة التاسـعة عـشرة مـن العـراق، خذلني، وسـحقني، وألقى أحلامـي في الهاويـة.

والعـراق بعـد مغامرتـه العشـوائية لم يعـد سـندي ولا مُخلِّصي.. ولا مُحـرِّري.. وإنمـا صار مُسـتعمِري.

مـن كان يصـدق أن تتحـول مواسـير المدفعيـة العراقيـة 180 درجـة مئويـة، عـن أهدافهـا القوميـة لتـدك بيتـي في الكويت؟

مـن كان يصـدق أن الجيـش العراقـي الـذي يحـرس بوابـة الوطـن الكبـير، ويحتفـظ بمفاتيحـه يسـلبني بيتـي ويتركنـي في العـراء؟

مـن كان يصـدق أن تتحـول الوحـدة العربيـة التي طالمـا حلمنا بها، وغنينـا لهـا، وكتبنـا لها الملاحم.. إلى عملية سـطو مسـلح؟

إن الوحـدة سـوف تبقـى دائمـاً هـذه المدينـة الفاضلـة التي نسـعى للوصـول إليهـا، رغـم ارتفـاع الأمـواج وجنـون العاصفة.

ولكـن الوحـدة العربيـة لا تتحقـق أبـداً بتكسـير الـرؤوس.. وإنمـا بمخاطبـة النفـوس..

ويوجعنـي أن أقـول إن اجتيـاح الكويـت بهـذه الطريقة المتوحشـة والسـادية قـد أخّـر المـشروع الوحـدوي، ومـع كل الإحبـاط الـذي أصابنـي، ومـع كل هـذا الـركام الـذي تجمّـع في داخـلي.. أقـول: إن الشـعب العراقـي العظيـم سـيبقى في القلـب دائمـاً.. وهو بـكل تأكيد ليـس مسـؤولاً عـما حـدث..

ولكن المسؤول.. هي الدبابة!

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الثاني

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الثاني

أتابع بكثير من الدهشة المقالات النقدية التي يكتبها عني بعض المثقفين، ويأخذون فيها تغير أفكاري، وتناقض مواقفي فيما يتعلق بموقفي من الغزو العراقي لبلادي.

ولكي يثبتوا وجهة نظرهم فإنهم يرجعون إلى أرشيفي الشعري والنثري ويفتحون كل الخزائن والملفات والأوراق الخاصة بعلاقتي مع العراق حتى يربحوا الدعوى ضدي.

والواقع أن علاقتي الأدبية والروحية بالعراق ليست علاقة سرية حتى أخجل بها، فهي كعلاقة ملايين من الخليجيين وقفوا مع العراق في حربه. وما كتبت من شعر ونثر، وما ألقيته في المربد من قصائد أيام كان الجيش العراقي يخوض باسم العرب حرباً مصيرية، كل هذه الكتابات مدونة ومسجلة ومنشورة، ولا أشعر تجاهها بأي عقدة من عقد النقص أو الندامة.

ولو أن عقارب الزمن رجعت إلى عام 1980 مرة أخرى، واضطر الجيش العراقي للدفاع عن الشعب العربي، لوقفت معه بغير تردد.. وكتبت ذات القصائد التي كتبتها قبل عشر سنوات.

إن رؤيتي القومية في الثمانينيات كانت رؤية كل القوميين والمثقفين العرب.. وكانت متطابقة مئة بالمئة مع المشروع القومي الثوري العربي، ولم تكن قصائدي في المربد سوى جزء صغير من ألوف القصائد التي غنى بها الشعراء العرب للعراق، معبرين بذلك عن التزامهم العربي والقومي في هذه المرحلة المصيرية من تاريخ العرب.

أما وقد ضرب النظام العراقي في ابتلاعه البشع لدولة الكويت المشروع القومي العربي، وانحرف 180 درجة مئوية عن الهدف القومي الكبير، فقد وجدت نفسي في حل من التزامي، لأنني لا أستطيع أن أكون شاهدة زور على هذه المجزرة التي ترتكب على أرض بلادي.. كما لا أستطيع أن أشكر الدبابة التي نسيت طريقها إلى أرض فلسطين، وحطمت بوابة وطني.

ربما كنت مخدوعة، أو مغرورة، أو رومانسية، حين اندفعت بكل عاطفتي في تأييد نظام كان يخطط في الظلام لإبادتي وإلغاء وجودي.

وربما كنت مضللة، حين لم أكتشف الوجه الحقيقي للنظام العراقي الذي كان يقوم على القمع.

وربما كنت ساذجة لأنني لم أتنبأ بأن السيف العراقي الذي غنيته في إحدى قصائدي.. ذبحني، وأسال دمي.

وربما كان عذري أنني شاعرة، قبل أن أكون منجّمة، أو طبيبة نفسانية لأعرف طبيعة الأنظمة، وأفكارها ونواياها، وأتنبأ بما سوف تحمله لي ولبلادي، وللوطن العربي.. من كوارث وويلات.

وأود أن أقول للأساتذة النقاد والمثقفين، الذين أحمل لهم كل الحب والاحترام، إنهم في نقدهم يتجاهلون أن الشاعر ليس حجراً،

ولا بلاطة ولا عمود كهرباء، ولا شكلاً هندسياً لا يتغير.

الشاعر هو برق ومطر وسماء دائمة التحولات.

الشاعر حالة تاريخية وبشرية ونفسية، ولا يمكننا أن نطلب من الشاعر أن يبقى كقضبان السكة الحديدية أو كتمثال إغريقي قديم.

ثم إن مواقف الإنسان ليست مصنوعة من الحديد والإسمنت، ولكنها مصنوعة من الدم واللحم والأعصاب.

والشاعر ليس عالم فيزياء أو كيمياء أو رياضيات، حتى نسجنه في داخل معادلاته وأرقامه، ونتهمه بأنه وقع في التناقض.

إن سيد الشعر العربي أبا الطيب المتنبي اختصر حالته، وحالتي، وحالة كل شعراء الدنيا.. في بيت شعر واحد يقول فيه:

على قلق كأن الريح تحتي أوجهها يميناً أو شمالا

وبعيداً عن المزادات الأيديولوجية والمثالية والتنظيرية، وبعيداً عن الوعظ والنصح والتعليم والأستذة.. التي تقفها بعض الأنتلجنسيا العربية من اغتصاب الكويت..

أقول للأساتذة الذين يلبسون القفازات والأقنعة الواقية خوفاً من أن تحترق أصابعهم بنار حرب الخليج، وتشوه وجوههم الجميلة..

أقول لهم: إنني سأبقى كويتية من رأسي إلى قدمي، ولن أسمح لأحد أن يقتلعني من بيتي وهويتي وجذوري..

فهل تسمحون لي أن أحب وطني؟؟

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الثالث

هل تسمحون لي أن أحب وطني

القسم الثالث

وتعود مرة أخرى لتسأل فقهاء القومية العربية وبطاركتها: «هل تسمحون لي أن أحب وطني؟؟».

فينظرون إليك من أعلى أنوفهم.. ساخرين ومتعجبين من سؤالك الرجعي والمتخلف.

ورغم أن السؤال طبيعي ومشروع، وهو من حق كل الأحياء ابتداء من الديدان، إلى الطيور إلى الأسماك إلى القطط.

فإن الأساتذة يرون أن سؤالك لا محل له من الإعراب، وأن حب الوطن مؤجل حتى إشعار آخر.

وإذا سألتهم أنا واقعة بين أن أكون مع وطني أو أن أكون مع الدبابة.. فيجيئك الجواب بارداً كالقبر، ومحايداً كالموت:

- مع الدبابة، طبعاً..

إن مناقشة الشأن الوطني مع طبيب بيطري، أو مع ملاكم، أو شاويش في أحد السجون.. لا يؤدي إلى نتيجة، لأن الوطن عند بعض البشر ليس سوى زائدة دودية يستحسن قطعها.

وعندما يسأل الكويتي وهو يبصق دماً بعض أطباء القومية العربية وصيادلتها:

- ووطني الكويت.. ما وضعه الديموغرافي والفيزيولوجي والعضوي والإنساني حسب تشخيصكم؟

فيجيء الجواب بارداً كالقبر، ومحايداً كالموت:

- زائدة دودية.. طبعاً.

إن النظر إلى الأوطان على أنها زائدة دودية لا تضر ولا تنفع سوف يشجع أي مغامر يحمل في جيبه مقصاً على أن يقص ويفصل أجساد الأمم على هواه.

وما أصاب الكويت لم يكن عملية جراحية حمقاء قام بها حلاق يمارس الجراحة بلا ترخيص قانوني.

إن من يقرأ كتابات وتفسيرات وتبريرات بعض فلاسفة القومية العربية والمنظرين لها على الورق فقط.. يكتشف أن هؤلاء الفلاسفة يعيشون في كوكب آخر، ويختبئون خلف ظلهم، ويستعملون في خطابهم القومي اللغة المسمارية!!

إنني لم أكتشف معنى جبن بعض المثقفين إلا في هذه الأيام المأساوية، فكاتب يكتب بنصف أصابعه، وآخر يكتب بربع أصابعه، وصحافي كبير يكتب كي لا يقول شيئاً، ولا يتخذ موقفاً، وكاتب يضع عشرات الأصباغ على وجهه كأنه ذاهب إلى حفلة تنكرية، وكاتب يختبئ تحت اللحاف حتى لا يلقى القبض عليه متلبساً بجريمة قول الحقيقة.

أيـن هـم مثقفونـا التقدميـون الذيـن كانـوا يملـؤون الدنيـا بعبعـة وجعجعـة إذا انتهكـت عذريـة ذبابـة في بـلاد الأسـكيمو، أو انتحـرت ضفدعة في غابات الأمازون، أو سـحقت الدبابات السـوفييتية أجسـاد التلاميـذ في ربيـع براغ؟

هـل قـرأ المحاربون بنظـارات القوميـة العربية القصـة الدامية التي روتهـا إحـدى الطبيبـات العامـلات في الكويـت، وأكـدت فيهـا أن 22 مولـوداً جديـداً في أحد مستشـفيات الكويت لقوا حتفهم بعد سـحب جنـود الاحتـلال العراقي خراطيم الأوكسـجين مـن حاضناتهم، في إطار النهـب العراقـي لمعـدات المستشـفيات والمراكـز الطبيـة، ونقلوها إلى بغداد.

(انتهى كلام الطبيبة)

طبعـاً لا أحـد مـن مثقفينـا المحاربين بنظـارات القوميـة العربية قد قـرأ هـذا الخـبر، لأنـه خبر عـادي جـداً، لا يحـرق الأعصـاب، ولا يحرك الضمائـر ولا يثـير شـهوة الكتابة.

ما الذي يثير خيال الكاتب العربي إذن؟

يثـيره أن تمـوت ذبابـة بفقـر الـدم في تنزانيـا أو نيكاراغـوا أو غواتيـمالا..!

أمـا أن يمـوت نصـف مليون مصري وهنـدي وباكسـتاني وسريلانكي.. عطشـاً وجوعـاً على الحـدود العراقيـة الأردنية فمسـألة فيها نظر..

وأمـا أن يخـسر الشـعب الكويتـي خـلال نصف سـاعة اسـمه وبيته وعنوانـه وثيابـه ونقـوده وتاريخـه وذاكرتـه.. ويتحـول إلى شـعب مـن الغجـر يحمـل حقائبـه وأولاده، وأحزانـه عـلى كتفيـه.. ويبحـث عـن خيمـة يـأوي إليهـا، فمسـألة ثانويـة جـداً، أمـام زحـف جيـوش

الإمبريالية من بلاد قحطان وعدنان..

أما من هم الإمبرياليون؟ وهل جاؤوا من الشرق أو من الغرب، ومن البحر أو من البر؟ وهل هم نصارى أو مسلمون؟ وهل هم يتكلمون الإنجليزية أو يتكلمون العربية؟ وهل هم من سلالة إبراهام لينكولن أو من سلالة أبي العباس السفاح؟

فالعلم عند الله..

والذي أعرفه أن كلمة (الإمبريالية) هي حمّالة أوجه، ولها أكثر من معنى في قاموس أوكسفورد أو في قاموس محيط المحيط.. ورغم أن اللفظة في أساسها لاتينية فرنجية، لكن العرب نقلوها بأمانة إلى اللغة العربية، وأدخلوها إلى قاموسهم العربي والعسكري.. فصارت لدينا (إمبريالية عربية) لا تقل فتكاً وقسوة وضراوة عن كل الإمبرياليات الفرنجية المستوردة.

وهذا يعني أن الإمبرياليات كثيرة، لا واحدة، فثمة إمبريالية مستوردة، وثمة إمبريالية من (الصناعة المحلية) تتفوق بجودتها ومتانتها ومواصفاتها على كل الإمبرياليات التي أنتجتها مصانع الغرب.

وقد رأى الكويتيون في فجر اليوم الثاني من شهر أغسطس (آب) الماضي بأم أعينهم ولادة إمبريالية لا تقل وحشية ودموية وجنوناً عن إمبرياليات القرن التاسع عشر.

ويخرج حكماء القومية العربية من جحورهم ليقنعوك بعد أن سرقت بلادك منك، بأن تبقى مبتسماً ومبتهجاً ومتفائلاً.. ويطلبون منك أن تشكر الله، لأن حلم المرحوم الأستاذ ميشيل عفلق قد تحقق أخيراً.. ولأن استشهاد الشعب الكويتي تحت جنازير

الدبابـات العراقيـة هـو أقـرب لدخـول الجنـة..

ومـع احترامـي لسـماسرة الجنـة، والواقفـين عـلى شـباك التذاكـر في مـسرح الوحـدة العربيـة.. أقـول لهـم إن جنـة يتـولى قطـع التذاكـر فيهـا رجـال مباحـث، ويتـولى إدارة أعمالها رجال المخابـرات، هي جنة مرفوضة..

إننـا نعـرف جيـداً طريقنـا إلى الجنة، وطريقنـا إلى اللـه.. أما جنتكم التـي تحصـد الرجـال والأطفـال والنسـاء بنـار البنـادق والرشاشـات، وراجـمات الصواريـخ.. فـإن الجحيـم أكـثر رحمـة منهـا وأكثر سـلاماً.

أحمل ملف الوطن

أحمل ملف الوطن*

أيها الأصدقاء الزملاء..

ما كنت أتنبأ -أنا الكويتية العربية- أن أقف ذات يوم أمام اتحاد المحامين العرب، بصفتي مدعية، وشاكية، ومعتدى عليها..

ثم ما كنت أتنبأ، ولا كان في مقدور أي عراف أن يتنبأ، أن المدعى عليه، الذي أرفع عليه قضيتي، وأطلب منكم إدانته جزائياً وقومياً وعربياً، هو واحد من أبناء عمومتي.. وأنا التي طالما ساهمت بفكري وجهدي من أجل الدفاع عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

وللمرة الأولى في تاريخ علاقاتي العامة أدخل على زملائي من المحامين والمفكرين والمثقفين، وأنا لا أحمل ابتسامتي كما تعودت، وإنما أحمل ملف أحزاني، وأحزان الوطن الكويتي المقهور.

الملف الذي أحمله ليس ملفاً شخصياً.. وإنما هو ملف وطن صغير، هو في طريقه إلى المحو والاستئصال والإلغاء بحجة أنه خطأ تاريخي وجغرافي.. وزائدة دودية لا تنفع ولا تضر.

وإذا قبلنا هذا المنطق الجراحي أو البيطري في إلغاء شعب بكامله بضربة مبضع.. فإن هذا العالم سوف ينتقل من حكم القياصرة إلى حكم البياطرة، وتصبح غرفة العمليات هي المكان المناسب لتقرير

* ندوة اتحاد المحامين العرب عن أزمة الخليج ١٩٩٠/١٠/١٤

مصير الشعوب.

وإذا كانت النظرية القومية تقرر أن الشعب الكويتي شعب لا لزوم له.. فإن عشرات بل مئات الشعوب الأخرى ستدخل أيضاً في كتاب (لزوم ما لا يلزم) لأبي العلاء المعري، وتصبح جغرافية الكرة الأرضية بيد المغامرين وقطاع الطرق.

وأود أن أسألكم، وأنتم أساتذة القانون في وطننا العربي، من هي السلطة القانونية التي تقرر أن هذا الشعب لازم.. وهذا الشعب غير لازم؟

إذا كانت الدبابة هي التي تقرر ذلك.. فإنها ستكون فاجعة الفواجع، لأن الدبابة هي أمية بطبيعتها، ولم يسبق لها أن درست القانون، أو مارست المحاماة، أو دخلت في سلك القضاء.

الدبابة تبقى دائماً دبابة، ومهمتها الرئيسية هي أن تطحن عظام الشعوب، وتطحن إرادتها.

الدبابة قد تقود انقلاباً، أو تصدر البلاغ رقم 1، ولكنها لم تقرأ كتاباً واحداً في الفقه الدستوري، أو في الفقه الروماني، أو في القانون الدولي.

والذي يدعو إلى السخرية أن ترى دبابة تلقي عليك درساً في القومية العربية، ووحدة الدم واللغة والدين والمصير، وتتعامل معك على الطريقة النازية أو الإسرائيلية في نسف البيوت، وتفريغ الأرض من سكانها، واستيراد سكان جدد بدلاً عنهم.

وإذا كان الغزاة العراقيون لم يستعملوا أفران الغاز حتى اليوم مع الشعب الكويتي، فليس لأنهم يخافون الله، أو عقوبات الأمم المتحدة، بل لأن مهندسيهم لم يكتشفوا أفران الغاز بعد.

هـذا هـو كتـاب الوحـدة الذي قرأنـاه في الكويت في الثاني من شـهر أغسطس 1990.

ومـا جـرى في الكويـت تحـت الاسـتعمار العراقـي هو نمـوذج حرفي ومنقـول عن الممارسـات النازيـة في دول أوروبا الشرقية.. والممارسـات الإسرائيليـة في فلسـطين المحتلة..

ولا تؤاخـذوني إذا وصفـت لكـم الكتـاب بأنـه كتاب بوليـسي إرهابي دموي.. يشـبه إلى حد بعيد قصص أغاثا كريسـتي ومسلسـل دراكيولا..

فهـل هـذه هـي الكتـب الأيديولوجية التي سـنطلب مـن أولادنا أن يقرؤوها؟

إن الأطفـال الكويتيـين اليـوم يبحثـون في منافيهـم عـن مدرسـة تقبلهـم في العـام الـدراسي الجديـد، فتقفـل في وجوههـم الأبـواب..

فكيـف سـنقنع هـؤلاء الأطفـال بوحدة اللغـة والدم والمصـير.. بينما هـم بغـير لغة وبغـير مصير؟

إننـي أرجـو ألا يفهـم كلامـي أننـي كفـرت بوحـدة العـرب، أو بقدرتهـم عـلى الالتقـاء بشـكل مـن أشـكال العقلانيـة، فالكويتي على رغـم مرارتـه واكتئابـه وإحباطـه الشـديد لا يـزال مشـدوداً إلى المثـل الأعـلى، والحلـم الكبـير.

ولكـن الوحـدة التـي مورسـت عـلى الشـعب الكويتـي لا علاقـة لها بالحلـم، ولا بالمثـل الأعـلى، ولا بـأي مبـدأ مـن مبـادئ الأخلاق.

إنهـا وحـدة قهر وإذلال، وإلغاء لشـعب بكل مقوماتـه وخصوصيته وشرائحه الاجتماعية.

وإذا كان الولـد قـد عـاد أخـيراً إلى حضـن أمـه -كـما تقـول أجهـزة الإعـلام العراقيـة- فإنـه لا توجـد أمٌّ في الدنيـا، تعمـد إلى سرقـة حليب

أطفالها، وتغيير أسمائهم، وتجريدهم من ثيابهم..

هذه أمومة كاذبة.. وحنان كاذب.. ووطنية كاذبة.

أيها الزملاء الأساتذة..

إن أي زواج في العالم لا يقوم على التقاء روحين وجسدين ورغبتين وإرادتين.. هو زواج فاشل، وانتحاري، ومصيره الطلاق.

والنظام العراقي، مع الأسف الشديد، حمل إلينا عقد الزواج والمأذون على ظهر دبابة.

لذلك كفر الكويتيون بهذا الزواج السياسي الفظ.. وهربوا من بيت الزوجية، تاركين وراءهم الجهاز، الذي وضع العريس يده عليه، وشحنه إلى بغداد.

أيها الأصدقاء والزملاء..

لأنكم أهل العدالة والقانون والفكر، وأهل الحق والحقيقة.. أرجو أن تدرسوا أزمة الخليج دراسة ميدانية لا نظرية، فما جرى على أرض الكويت هو من البشاعة بحيث لا يمكن لأية نظرية أو أيديولوجيا أن تبرره أو تتستر عليه.

وبكل صدق وموضوعية وتجرد، أقول لكم إن ما جرى على أرض الكويت هو عمل تخريبي.. لا عمل توحيدي، عمل مبني على العصابية والنرجسية وعبادة الذات، أكثر مما هو مبني على قرار المؤسسات الديمقراطية والشعبية.

ولأنني قومية وعربية ووحدوية الجذور.. أرفض الخلط الغوغائي بين التوحيد والتخريب، فقتل الكويت على هذا النحو الاعتباطي والفردي والفاشستي لا علاقة له بالقومية أو بالعروبة، ولا بالفكر الوحدوي.

يا أصدقائي وزملائي..

الملف الذي أحمله طويل، ولكنني أشفق عليكم من قراءة كل تفاصيله ووقائعه..

كل ما أود أن أقوله لكم، وأنتم تناقشون في ندوتكم (أزمة الخليج) أن تتذكروا أن مهنتكم كمحامين عرب ومثقفين وطليعيين ورواد فكر.. ألا تتركوا القتيل ينزف على الأرض، وأنتم مشغولون عنه بالتنظير والخطابة، والمرافعات البلاغية الطويلة.

البلاغة مؤجلة، والفصاحة مؤجلة، وقصائد الرثاء مؤجلة.. فما نريده منكم، وأنتم رجال شريعة وقانون، ورجال فكر وثقافة، أن تعطونا تقريراً طبياً مفصلاً.. يذكر لنا كيف مات القتيل.. ومن قتل القتيل؟

إن الجريمة يا حضرات الأساتذة ليست معقدة ولا غامضة، ولا مر عليها الزمن، فمرتكب الجريمة معروف، وأدوات الجريمة موجودة، ومكان الجريمة معروف.. وهو دولة ديمقراطية صغيرة اسمها الكويت.

أيها الزملاء والأعزاء..

قبل أن أترككم للتشاور فيما بينكم وتقديم تقريركم إلى هيئة المحكمة.. أدعوكم كمحامين ومفكرين وطليعيين ورواد فكر إلى أن نضع معاً الأسس، ونرسي المبادئ في عقد اجتماعي عربي لنظام عربي جديد، لا تتجزأ فيه المبادئ، ولا يضحّى بقضية مدنية من أجل قضية مصلحية.

إن المبادئ لا تتجزأ، والعدالة لا تتجزأ، والحرية لا تتجزأ.. وفي محفل يرعاه اتحاد المحامين العرب أطلق هذه الصرخة من أجل

الحـق والعروبة.

أيها الأصدقاء الأصدقاء..

أود أن أتوجـه إلى مـصر العدالـة، ومـصر الديمقراطيـة، ومـصر الرجولـة والشـهامة والمثـل العليـا.. بأعمـق مشـاعر العرفـان والحـب والتقديـر.. باسـمي وباسـم الشـعب الكويتـي في الوطـن والمنفى، عـلى مواقف الشرف التـي وقفتهـا مـن قضيتنـا العادلـة، ومواقـف مـصر هـذه ليسـت جديدة، فهـي تأكيـد جديد على أصالة مـصر، وعمق أبعادها الإنسـانية والحضارية.

كـما أقـدم أعمـق الشـكر لاتحـاد المحامين العـرب، الذي دعـا إلى هذه النـدوة في مثـل هـذه الأيـام المتفجرة، مؤكـداً بذلك حرصه عـلى أن يبقى الحـق دائمـاً متوهجـاً ومضيئـاً، وألا تدفن أزهـار الحريـة والديمقراطية في رمـال اللامبالاة.

كنت أريد أن أفتح حقائب الفرح

كنت أريد أن أفتح حقائب الفرح*

يا أساتذتي الأجلاء.. أيها الأحباء الأحباء..

بعد فراق دام عشرين عاماً بيني وبين جامعتي، أعود وقلبي يخفق كعصفور ربيعي..

فما أحلى الرجوع إليها..

وما أحلى الرجوع إليكم..

شعوري هو شعور الحمامة العائدة إلى قبة مسجد، أو شعور سفينة أتعبها الصراع مع الرياح والأمواج وأسماك القرش.. فعادت إلى مرفئها القديم.

في عام 1970 كنت طالبة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. كان زمناً جميلاً اختلطت فيه الطفولة بالشباب.. بالطموح.. بالجنون.. بكتابة الشعر.. بالأحلام المستحيلة.

كان ذلك الزمن أروع الأزمان، بل كان سيد الأزمان، وما زال المقعد الذي كنت أجلس عليه في قاعة المحاضرات هو أعظم عرش جلست عليه في تاريخ حياتي.

الطلاب هم الملوك الحقيقيون، خلال دراستهم الجامعية، حتى إذا تركوا الجامعة نزعت التيجان عن رؤوسهم.

بحنين الطفل العائد إلى بيت أبيه، أعود إلى كلية الاقتصاد

* ألقيت في ندوة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٧

والعلـوم السياسـية لألملـم ذكريـاتي التي لا تـزال تعرض عـلى حيطانها كأزهـار الياسـمين.

فهنا نبت ريشي..

وهنا تعلمت الطيران وحدي للمرة الأولى.

مـن أجـل هذا يسـعدني أن أعـود بعد عشرين عامـاً، لأعترف بجميل فضلهـا عـليّ، فقد سـقتني من ينابيـع المعرفة حتى ارتويت، وأشـعلت لي شـموع الحقيقة حتى اهتديت.

قبـل عشريـن عاماً كان الصبا يلون كل الأشـياء باللـون الأخضر، وكنا نرسـم القمر بالشـكل الـذي نريد، ونعطيه الحجـم الذي نريد.

قبـل عشريـن عامـاً كنـا قادريـن على تغيـير هندسـة الليـل والنهار، وقادريـن عـلى أن نخـرج الربيـع مـن جيوبنا.

قبـل عشريـن عاماً كان الوطن فراشـة قزحيـة الجناحـين تحط على أكتافنا..

وكانـت الحريـة عصفـوراً خرافيـاً يـأتي كل مسـاء ليبنـي عشـه عـلى شرفاتنا.

قبـل عشريـن عامـاً كانت الكتابـة ممكنة، والأحلام ممكنة، والشـعر ممكناً.

يا أساتذتي الأجلاء..

أيها الزملاء والزميلات، أيها الأصدقاء الأصدقاء..

كنـت أريـد أن أفتح أمامكـم حقائب الفرح، لا حقائـب الحزن، وأن أطير إليكم على سـجادة الشـعر والكلـمات الجميلة.

ولكـن مـاذا أفعـل، إذا كانـوا قـد سرقـوا الشـعر مـن فمـي، والوطن مـن راحـة يـدي.. وسرقوا الشـعب الكويتي مـن بيته، وسرقـوا التاريخ

بقوة السلاح؟

ماذا أفعل إذا كان الوطن العربي مصراً على الانتحار، ومصراً على أن يتحاور مع الآخرين بالمسدسات الكاتمة للصوت؟

ماذا أفعل إذا كانت الحرية -كما نفهمها- هي حرية اغتيال الآخرين.. والوحدة العربية المنشودة هي في سحق الأوطان الصغيرة بجنازير الدبابات؟

ماذا أفعل بمن أضرم النار في سفينة الأمة العربية، ورمى ركابها للحيتان الجائعة؟

هذا باختصار ما فعله المقامرون المغامرون بوطني الكويت..

ومع هذا، ومع كل الحرائق التي تحاصرني، ومع كل العواصف التي تضربني، فلن ألقي السيف أبداً، ولن أترك القراصنة يبحرون بسفينة الكويت إلى المجهول.

سوف أبقى على ظهر السفينة، أقاتل بأظفاري وأسناني، حتى يلوح ضوء الفجر، ويغرق آخر القراصنة.

وربما كان وجودي اليوم في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فرصة نادرة، لأجدد عزيمتي وأجمع ذخيرتي، وأتزود بالماء والسلاح والحرية، فالجامعات هي الحدائق المثالية التي تتفتح فيها أزهار الثورة والحرية.

ومن أجل هذا أتيت إلى جامعتي لأقرأ مرة أخرى كتاب الثورة.. وكتاب الحرية.

لن تتحول الكويت
إلى أندلس ثانية

لن تتحول الكويت إلى أندلس ثانية*

أيها الأصدقاء..

الدخول إلى نقابة الصحافيين في القاهرة، يشابه الدخول إلى جامعة تعلم تلاميذها مادة واحدة فقط هي الحرية.

هذه المادة الواحدة تلغي كل المواد الأخرى، فبغير الحرية يتحول الإنسان إلى نصف إنسان.. أو إلى ربع إنسان.. أو إلى مشروع إنسان.

ولأنني أبحث عن الحرية، ككتابة وشاعرة ومواطنة، فإنني أجد في نقابة الصحافيين المصريين الأرض المثالية التي أستطيع أن أقول عليها ما أشاء.. وأصرح كما أشاء.

أيها الأصدقاء..

إنني أقصد القاهرة لأقول فيها كلاماً لا أستطيع أن أقوله في غير القاهرة.

ففي هذا العصر البوليسي الذي أصبح فيه الحوار العربي – العربي محكوماً بالقنابل والمسدسات والصواريخ بعيدة المدى، تبحث الكلمة العربية عن ملجأ أمين، لا يصل إليه رصاص المتقاتلين.. ولا تغطيه الأسلاك الشائكة، وأكياس الرمل.

في هذه الأيام التي أصبحت فيها أعصابنا رماداً، وكلماتنا رماداً، وأمانينا رماداً، نلتجئ إلى ذراعَي مصر التي كلما أردنا أن نكتب

* ألقيت في ندوة نقابة الصحفيين بالقاهرة في ١٩٩٠/١٠/١٨

كتبنا على سمائها المفتوحة الزرقاء، وكلما أردنا أن نستحم بماء الحرية قصدنا نيلها العظيم، وكلما أردنا أن نبكي بكينا على صدرها الرحيم.

أيها الأصدقاء..

كم أنا سعيدة، وملأى بالعنفوان، لأني في بيت الصحافة، بيت الصحافة هو بيتي.. وقضيتها هي قضيتي.

وأنا مدينة للصحافة المصرية بشكل خاص لأنها علمتني كثيراً، وكرّمتني كثيراً، وكانت دائماً رفيقة كلماتي، ورفيقة حريتي.

الصحافة هي السلطة الرابعة في عالمنا، بل هي السلطة الأكثر ثباتاً، والأرسخ جذوراً من كل السلطات.

وفي حين تتساقط ديكتاتوريات، وتترنح أيديولوجيات، وتتناثر أنظمة بوليسية كأوراق الخريف.. تظل الصحافة سيفاً شجاعاً يقود معارك تحرير الشعوب في كل أرجاء العالم.

إن الصحافة التي أعنيها، ليست الصحافة الخائفة، ولا الصحافة المتسولة على أبواب الأنظمة، ولا الصحافة الهاربة من الجندية، ولا صحافة تزوير المواقف، ولا صحافة العرض والطلب، ولا الصحافة التي تغيِّر مواقفها حسب نشرة صرف العملات، ولا الصحافة التي تغيِّر ولاءها.

مثل هذه الصحافة التابعة والذيلية والجالسة تحت أقدام من يملكون السلطة، أو يملكون رأس المال.. لا أناقشها أساساً.

وإنما أتحدث عن صحافة أخرى، بقيت رغم كل الضغوط المادية والاقتصادية والسياسية محتفظة بنقائها وشرفها.. وعذريتها.

إنني أحمل أحزاني إلى مصر، لأنها أكثر البلاد فهماً لطبيعة الحزن،

وأحمل إليها مدامعي، لأنها تعرف جيداً من أين تأتي الدموع، وأرفع فوق أهراماتها بيارق حريتي.. لأنها معلمة الحرية.

إنني أقصد مصر الأم، لأشكو إليها عقوق بعض الإخوة الذين أشعلوا النار في منزل الأبوة، وقطعوا شجرة العائلة، وحولوا الدم العربي إلى نهر من الأوساخ.

أيها الأصدقاء..

أنا شاعرة عربية من الكويت، سرق مني وطني، خلال خمس دقائق؛ ببحره وشواطئه وأشجار نخيله ورجاله ونسائه وأطفاله وعنوانه ورقم صندوقه البريدي..

خمس دقائق فقط.. لم يتركوا نخلة في بساتين الكويت إلا قطعوها، ولم يتركوا سمكة في بحر الكويت إلا أكلوها، ولم يتركوا نجمة في سماء الكويت إلا اعتقلوها، ولم يتركوا مطبعة أو جريدة أو مكتبة.. إلا نسفوها.

خمس دقائق فقط.. حمل النازيون الجدد الكويت في حقيبة على ظهورهم، ولم ينسوا أن يضعوا الشعب الكويتي كله في داخل الحقيبة.

في الثاني من شهر أغسطس 1990، اكتشفنا أن مافيات القومية العربية سرقت الكويت، ومدارس الكويت، وأبراجها، ومستشفيات الكويت، وممرضات الكويت، وأنابيب الأوكسجين، وغرف العمليات، وزجاجات المصل.. ووضعتها في سيارات شحن، ونقلتها إلى بغداد..

أيها الأصدقاء..

إنني شاعرة كويتية عربية وحدوية، نذرت دموعها وقلمها ومالها.. من أجل قيامة وطن عربي جديد ينهض على أساس العقل

والمعرفة والعدالة والديمقراطية.. ولكنني بكل إصرار أرفض الخلط بين القومية العربية واللصوصية، وبين المثل الأعلى والغوغائية، وبين طهارة العقيدة ودعارة التطبيق.

لقد سقطت النازية في كل أنحاء العالم، وتدحرجت الديكتاتوريات تحت أقدام الشعوب، وانتصر الإنسان على جلاديه وقاتليه، وهدم أسوار سجونه.

وإذا كان جدار برلين قد تحطم بعد خمسة وأربعين عاماً بضربات الشعب الألماني، فإن الشعب الكويتي سوف يحطم جداره أيضاً.

وإذا كان الشعب الروماني قد صفّى حسابه مع تشاوشيسكو، والشعب السوفييتي قد نبش قبر ستالين.. فهذا دليل على أن عمر الطغاة قصير، وأن تاريخ الشعوب لن يشطب بهذه السهولة.

إن محاولة شطب الكويت من التاريخ هي محاولة مستحيلة، ومهما كان الخراب كبيراً، والجرح عميقاً، والأساليب متوحشة.. فسوف يعود الكويتيون إلى الكويت، ليبنوها حجراً حجراً، ونخلة نخلة، وموجة موجة، ومئذنة مئذنة.

ولن تتحول الكويت أبداً إلى أندلس ثانية.

وشكراً لصحافة مصر، التي حملت الكويت على أهداب عينيها ونصرتها، وقاتلت معها في الصفوف الأولى.

وشكراً لمصر العظيمة التي لم تتردد في دخول معركة الحرية مع الكويت منذ أول لحظة.

إنه شكر الأحرار للأحرار.

اغتصاب التاريخ

اغتصاب التاريخ

إذا كان الاغتصاب الجغرافي لشعب من الشعوب يمكن تبريره أو تفسيره، فإن الاغتصاب التاريخي للشعوب، هو نوع من المقامرة الفاشلة، والجرائم المستحيلة.

اغتصاب الجغرافيا هو اغتصاب أرض وحجارة.

أما اغتصاب التاريخ فهو اغتصاب للإنسان بكل امتداداته الروحية والحضارية والقومية والدينية والثقافية.

والاغتصابات الجغرافية كثيرة جداً في العصور القديمة.. وسرقة الأرض كانت إحدى هوايات المغول، والتتار، والبرابرة، والهكسوس، والفايكينغ، والرومان، والإغريق.

وابتداء من القرن الخامس عشر، كان اغتصاب العالم جغرافياً على يد الإسبان، والبرتغاليين، والهولنديين، والإنجليز، والفرنسيين، والطليان، روتيناً رسمياً، وجزءاً أساسياً من إستراتيجية الإمبراطوريات القديمة، للحصول على مزيد من المواد الأولية، والتحكم بالطرق التجارية للعالم..

كانت الاغتصابات الجغرافية العسكرية في القرون الماضية، تمر بيسر وسهولة، وكان التفوق العسكري للدول الاستعمارية يتيح لها عن طريق أساطيلها الجبارة أن تقتسم فيما بينها ثروات القارتين الإفريقية والآسيوية دون مقاومة تذكر..

ولكـن الاغتصـاب التاريخـي للشـعوب ظل صعبـاً بل مسـتحيلاً، ولم يسـتطع الاسـتعمار القديم أن يكسر الروح الأفريقية والآسـيوية، رغم مـرور مئات السـنين على وجـوده فيها.

وهكـذا احتلـت بريطانيـا الهند عسـكرياً، ولكنها لم تسـتطع احتلال الـروح الهنديـة، واحتلـت فرنسـا الجزائـر عسـكرياً، ولكنها لم تسـتطع أن تحتـل النفـس الجزائرية.

واحتـل نابليـون مـصر، ولكنـه لم يسـتطع أن يطفـئ شـمس مـصر، أو يلغـي نهـر النيـل. ونهـش هتلـر قطعـاً مـن جسـد النمسـا والمجـر وتشيكوسـلوفاكيا.. ثـم مـات منتحـراً. واحتل سـتالين أوروبـا الشرقية، وسـحق شـعوبها بدباباتـه، عـلى مدى خمسـة وأربعين عامـاً، ثم رجع إلى موسـكو بخفّـي حُنَـين.. مضروبـاً بأحذية الشـعوب..

واحتلـت الإمبراطوريـة الرومانية نصف العالم، ولكنها لم تسـتطع أن تجعلـه يتكلـم اللغة اللاتينية.. ويتذوق (السـباغيتي).

واليـوم يحـاول صـدام حسـين، أن يلعـب بالتاريخ على هـواه، فيغير مـرة حـدود الكويـت، ويغـير مـرة اسـمها، ويغـير مـرة ثالثة تشـكيلها الديموغـرافي؛ فينقـل الكويتيـين كـما تنقل أكيـاس البطاطـا إلى العراق، ويسـتورد مواطنـين عراقيـين بسـيارات الشـحن، كـرؤوس البطيـخ، ليزرعهـم في السـالمية والجابريـة والفحيحيـل، ويحـرق السـجلات المدنيـة، وشـهادات ميـلاد الكويتيـين، وعقـود زواجهـم، وجـوازات سـفرهم، وشـهاداتهم الجامعيـة، وسـنداتهم العقاريـة.. ويحولهـم إلى شـعب مـن الهنـود الحمـر..

وباختصـار، يتصـور الرئيـس العراقـي أن بإمكانه أن يشـنق التاريخ، كـما يشـنق معارضيـه، وأصدقـاء طفولتـه، ورفاقـه في الحـزب.. ثـم

يدخـن سـيجاره..

وهـو يتصـور أنـه إذا هـدم مستشـفيات الـولادة.. وأحرق شـهادات الميـلاد.. وقتل أطبـاء التوليد والممرضات.. بـأن الكويتيين لن يتزوجوا.. ولـن ينجبـوا.. ولـن يتكاثـروا.. وأن أرحـام الكويتيـات سـوف تتوقـف عـن العطـاء والإخصاب.

وهـو يتصـور أنـه إذا أحـرق سـجلاتنا المدنية، فسـوف نصبـح أولاداً غـير شرعيـين، ونضيـع أسـماءنا، وألقابنـا.. وملامحنـا.. ولـون بشرتنـا.. وسـواد عيوننـا.. ونضطـر للجـوء إلى ملاجـئ الأيتـام.

وهـو يتصـور أنـه إذا سرقـت نقودنـا ومدخراتنـا وأثـاث منازلنـا، فسـوف نقرفـص أمـام أبـواب المسـاجد مـع أطفالنـا.. لنسـتجدي الصدقـة مـن العابريـن..

وهـو يتصـور أنـه إذا سُرقـت السـاعات مـن معاصمنـا، فسـوف يتوقـف (الزمـن الكويتـي) عـن الـدوران.. دون أن يعلـم أن الكويتـي حيـث كان يسـتطيع أن يخـترع زمنـه.

وهـو يتصـور أن الذاكرة الكويتية سـوف تضعـف وتتلاشى مع الأيام، وأن أبـراج الكويـت سـتصبح كالآثـار القديمـة يتفـرج عليهـا السـياح، ويأخـذون أمامهـا الصـور التذكاريـة.. دون أن يعـرف أن القتيل يحمل في عينيـه صـورة قاتله إلى يـوم القيامة.

وهـو يتصـور أن مراسـيم الضـم والإلحـاق، وتحويلنـا إلى المحافظـة التاسـعة عـشرة في إمبراطورية ميشـيل عفلق هي قوانـين إلهية.. دون أن يـدري أن كل المراسـيم التـي أصدرهـا سـلفه نبوخـذ نـصر غرقت.

الخارجون من التاريخ

الخارجون من التاريخ

-1-

في حين تتجه شعوب العالم إلى العيش المشترك (داخل التاريخ) يتجه العرب بحركة معاكسة، وبإصرار لا شبيه له (للخروج من التاريخ).

في حين تحاول أمم أوروبية وأمريكية متعددة الأصول، والتاريخ، واللغات، والثقافات، والحضارات، أن تصبح (أمة واحدة).. تحاول أمتنا العربية ذات الأصول والتاريخ والطبائع، والثقافة، والحضارة.. الواحدة أن تبقى مجموعة من (الأمم والقبائل)، يذبح بعضها بعضاً، ويقتلع بعضها بعضاً.. و(يلغي) بعضها بعضاً..

بعد ميثاق باريس للأمن والتعاون الأوروبي الموقّع بتاريخ 21 نوفمبر 1990، سوف تنهار الحدود السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنقدية والثقافية لأوروبا، وتتحول أوروبا إلى شارع واحد.. بل إلى بيت واحد.. يسكن فيه الأوروبيون، تحت سقف الحرية، والديمقراطية، والتعاون، والمصالح الاقتصادية المتبادلة.

ميثاق باريس التاريخي، ألغى الحدود، وألغى الحروب، وألغى الأسلحة وألغى العدوان، وانتقل من (مجتمع حربي) يتعامل بالصواريخ، والقنابل النووية، والتعصب الأيديولوجي، إلى (مجتمع حضاري) يحل مشكلاته بالحوار العلمي، والرأي الحر، والمصلحة

المشـتركة، والفكـر البراغـماتي.

ميثـاق باريـس التاريخي بتاريخ 21 نوفمـبر 1990، هو أهم وأخطر انقـلاب في تاريـخ الفكـر الأوروبي، إذ اكتشـفت بـه أوروبـا عبثيـة الحـروب، والنزاعـات المسـلحة، والمطامـع التاريخيـة والجغرافيـة، كما اكتشـفت بعـد خروجها مـن حربين عالميتين مدمرتـين، أن الديمقراطية هـي الحـل الوحيـد لقضايـا هـذا الكوكـب، وأن حريـة الإنسـان هـي الشـجرة الدائمـة الخـضرة عـلى أرض هـذا الكوكب.

الماركسـيون تنازلـوا عـن ماركسـيتهم، واللينينيـون تنازلـوا عـن لينينيتهـم.. والماديـون تنازلوا عـن ماديتهم.. والبرجوازيـون تنازلوا عن برجوازيتهـم.. واليمينيـون تنازلـوا عـن يمينهـم.. وتوصـل المجتمعـون في باريـس إلى معادلـة تسـمح للجميـع بـأن يجلسـوا معـاً على بسـاط السـلام، وأن ينزعـوا مـن رؤوسـهم نهائيـاً فكـرة التدمـير والخـراب الجماعـي، ويسـتبدلوها بفكـرة تأسـيس نظـام عالمـي جديـد يكـون الإنسـان الحـر فيـه مركـز الدائـرة وحجـر الأسـاس.

-2-

في الجانـب الآخـر مـن المشـهد، تبدو الأمـة العربيـة.. وكأنها دخلت في مرحلـة (الكومـا)، فهـي لا تـرى.. ولا تسـمع.. ولا تقـرأ.. ولا تشـعر بهـذا الزلـزال التاريخـي الكبـير الـذي يهز أعمـدة العـالم القديم..

في الجانـب الآخـر، تقـف (الأمـة العربيـة الواحـدة ذات الرسـالة الخالـدة).. في حالـة مـوت غـير معلـن.. فـلا أحاسيسـها الخمسـة

تشـتغل.. ولا (هوائياتها) تلتقط الإشـارات القادمة من المسـتقبل.. ولا عقلهـا قـادر عـلى أن يسـتوعب النبوءات التـي يحملها القـرن الحادي والعـشرون.

(الفكـر القبـلي) مـا زال بصحة جيـدة.. والقبائل لا تـزال تتقاتل على المـاء والـكلأ.. والجاهليـة لا تـزال ترفـض أن تغـادر خيمتها.. لتشـاهد مـا يجـري في مجلـس العمـوم البريطـاني.. أو لتقـرأ عنـوان جريـدة (الإندبندنـت).. عـلى أضعـف الإيمان..

نحـن في مرحلـة انعـدام الـوزن تمامـاً.. ننفعـل ولا نفعـل.. ونتفـرج عـلى مـا يجـري في مـسرح السياسـة الدولية، كـما يتفرج القـروي على مسرحيـة لصاموئيـل بيكيت..

هناك في باريس يلغون الحروب.. ونحن نتلذذ بإشعالها..

وهنـاك في باريـس يقـررون إلغـاء الحـدود الجغرافيـة والاقتصاديـة فيـما بينهـم.. ونحـن نكـدِّس على حدودنـا المتاريـس وأكيـاس الرمل..

وهنـاك في باريـس يقيمـون صرح الديمقراطيـة.. ونحـن نقيـم صرح الديكتاتوريـات والحكـم الفردي..

وهنـاك في باريـس يعتـبرون الإنسـان ثروة حضاريـة عظيمة.. ونحن نعتبر الإنسـان حـذاء قديماً..

هنـاك في باريـس يذهبـون بطائـرة (الكونكـورد) إلى القـرن الواحـد والعشريـن.. ونحـن نرجـع عـلى حـمارة عرجـاء إلى القـرن العـاشر..

-3-

إن من يتتبع ردود فعل الأنظمة العربية تجاه ما يحدث على خريطة العالم، ولا سيما الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية، يتأكد من شيئين؛ أولهما أن العرب لا يقرؤون التاريخ، وثانيهما أنهم موجودون خارج التاريخ..

أحد الحكام العرب سئل عن رأيه في البريسترويكا السوفييتية، فقال: البريسترويكا هي من صنعنا نحن.. ونحن نعتبر أنفسنا أساتذة الاشتراكية في العالم.. والرفيق لينين مولود عندنا..

وحاكم عربي آخر، سُئل عن الدروس التي يمكن أن يتعلمها العرب من الثورة الشعبية التي قوضت أركان الديكتاتوريات في دول أوروبا الشرقية.. فقال: هذا لا يمكن أن يحدث عندنا.. لأن الحكم عندنا من الشعب وللشعب، ونظامنا ديمقراطي مئة بالمئة.. والحرية كالخبز في متناول جميع المواطنين.. فعلى أي شيء يثورون؟

وحاكم عربي ثالث سئل، لماذا يسمح برفع تماثيله وتعليق ملايين النسخ من صوره في كل الشوارع، والميادين والمطارات، والمدارس، والجامعات، والدوائر الرسمية، وعلى كل الباصات، وسيارات الأجرة؛ فأجاب بابتسامة نرجسية: وماذا تريدونني أن أفعل.. إذا كان الشعب يعشقني؟

تلك عينات من الأجوبة الفهلوية والعبقرية، واللمّاحة التي يعبر بها بعض حكامنا عن انطباعاتهم الأولى أمام التغيرات التاريخية المثيرة التي هزت القارة الأوروبية.

وهذه الأجوبة، إذا دلت على شيء، فإنما تدل على أن كثيراً من أنظمتنا أنظمة إلهية معصومة من الخطأ.. وأنها ليست مستعدة

لأن تتعلم شيئاً.. أو تستشير أحداً.. أو تستفيد من تجارب الشعوب الأخرى، ومن ثقافتها السياسية.. ولقد دفعنا، ولا نزال ندفع ثمناً باهظاً لغياب الديمقراطية، فالأنظمة الفردية لم تحمل لنا إلا الخراب والانحطاط والهزائم الكبيرة..

إن أسوأ ما في الأنظمة الفردية، أنها لا تصدق إلا نفسها، ولا تثق إلا بتقارير مخبريها وشرطتها السرية..

والأنظمة الفردية، عبر التاريخ، هي التي أشعلت الحروب الكبرى، وأحرقت المدن، ودمرت الحضارات..

وليس احتلال الكويت على هذا الشكل العشوائي، والوحشي.. والسادي.. سوى إفراز كيميائي للأنظمة الفردية التي تحكم بغير جذور شعبية أو ديمقراطية أو دستورية..

-4-

إن الفكر النرجسي العربي هو أساس كوارثنا القومية، فنحن لا نستطيع أن نعمل على شكل (فريق)، أو مجموعة، أو شركة، أو اتحاد، فالجامعة العربية، منذ تأسيسها عام 1945، لم تكن أكثر من فندق كبير، يسكن فيه اثنان وعشرون نزيلاً.. لا يكلمون بعضهم، ولا يرون بعضهم إلا في غرفة الطعام..

وعندما ذهبنا إلى الأندلس فاتحين، طاب لنا المقام، والخضرة، والماء، والشكل الحسن، فانفصلنا عن مركز الخلافة في دمشق، ووضع كل قائد عربي يده على مدينة من مدن الأندلس، ورفع

علمه فوقها، وتوزع ملوك الطوائف جغرافية الأندلس، فهذا أخذ غرناطة.. وهذا أخذ قرطبة.. وهذا أخذ إشبيلية.. وهذا أخذ طليطلة.. ولم يأت عام 1492 ميلادية حتى جاء الملوك الإسبان بقيادة فرديناند وإليزابيث، وكنسوا ملوك الطوائف ملكاً ملكاً..

-5-

ولا بد أن نعترف أن فكرة (الدولة) عندنا لا تزال فكرة غيبية وهشة، فالدولة كانت في أغلب الحالات ميراثاً شخصياً، أو عائلياً، أو دينياً، أو عسكرياً، أو انقلابياً..

وبرغم أننا نعيش منذ مئات السنين، في مدن كبيرة، لكننا لم نستوعب حتى الآن فكر المدينة، وقوانين المدينة، وتنظيمات المدينة.. ولا نزال نواجه قضايانا السياسية، والاجتماعية والدولية بمنطق البادية وشرائع البادية.

والغزو العراقي للكويت لا علاقة له ببغداد العاصمة التي شهدت حضارة ما بين النهرين، ولا علاقة له بحضارة العباسيين ولا الآشوريين، ولا الكلدانيين، ولا البابليين، ولا السومريين، وإنما هو عمل عشائري صرف، قام به شيخ عشيرة عراقي يخيط ثيابه لدى بيار كاردان، ويشتري ربطة عنقه من عند (لانفان) في باريس.

الهجمة العراقية على الكويت، ليست هجمة على الماء.. لأن لدى العراق دجلة والفرات.. وليست هجمة على الزرع.. لأن لدى العراق نخلاً كثيراً.. وليست هجمة على النفط.. لأن الاحتياطي

النفطي العراقي من أكبر احتياطيات النفط في العالم، ولكنها هجمة رجل وجد نفسه فجأة عاطلاً عن العمل، بعد أن انتهت الحرب العراقية الإيرانية، واكتشف أن لديه مليون جندي ليس لديهم ما يعملونه في العراق سوى الجلوس في المقاهي.. أو القيام بانقلاب ضد النظام..

إن احتلال الكويت هو عمل من أعمال رجل لا يستشير إلا نفسه، ولا يفكر إلا بمجده الشخصي.. أما حرق نصف إسرائيل فهو ليس أكثر من حقنة مورفين لتخدير الشارع العربي.

-6-

العالم يزداد تلاحماً، وتداخلاً، وانصهاراً.. ونحن نزداد نرجسية، وأنانية، وعزلة، وتقوقعاً..

ألمانيا الاتحادية تحتضن مارك ألمانيا الشرقية، وترفع قيمته حتى يصير معادلاً لقيمة المارك الاتحادي، والنظام العراقي بعد غزو الكويت، يحول الدينار الكويتي إلى قصاصة جريدة قديمة. الاتحاد السوفييتي ينسحب من أفغانستان مع الاعتذار.. والجيش العراقي يلتهم دولة الكويت في صبيحة الثاني من أغسطس 1990 كأنها بيضة مسلوقة..

مارغريت تاتشر استقالت من رئاسة حزب المحافظين ومن رئاسة الوزراء في بريطانيا لتفسح المجال أمام أصحاب الرأي المخالف حتى يتسلموا مقاليد السلطة.. ونحن نتمسك بالسلطة بأيدينا وأرجلنا.

الطاغيـة تشاوشيسـكو، رماه الشـعب الرومـاني في مزبلة التاريخ، في حـين يتصـور الطغـاة العـرب أن بوخارسـت بعيدة جداً عـن قصورهم المحروسـة جيـداً.. وأن الدهاليـز التـي حفروهـا تحـت الأرض سـوف تطيـل أعمارهم..

الإمبراطـور بوكاسـا أكل نصف أطفـال المدارس في أفريقيا الوسـطى، لأنـه كان يحـب لحـم التلاميـذ، ولحـم الحريـة، ولكـن شـعب أفريقيا الوسـطى، سـوف يظـل وراءه حتـى يحـول جثتـه الضخمـة إلى طعـام للغربان..

-7-

العـالم كلـه بعد ميثـاق باريس التاريخي يسـير باتجـاه الديمقراطية، والحريـة، والسـلام، ونحـن بـكل أسـف لا نسـمع صفـير القطـار، ولا نكـترث بسرعتـه الجنونية..

إننـا نجلـس عـلى قضبـان السـكة الحديـدة كالمسـطولين، دون أن نـدري أن قطـار القـرن الواحـد والعشريـن سـوف يطحـن عظامنـا إذا بقينـا عـلى غفلتنـا وغيبوبتنـا.

ففـي عـالم يتجه نحـو الديمقراطية، لا مـكان للأنظمـة الأوتوقراطية، وفي عـالم يتجـه نحـو تدمـير أسـلحة القتل الجماعـي، لا مكان لرؤسـاء المافيـات، والعصابات، وقطّـاع الطرق.

وفي عـالم يؤمـن بالحـوار الحضـاري، لا مـكان للملاكمـين ولاعبـي الكاراتيـه.

وفي عـالم جديـد ينحنـي أمام حرية الإنسـان، لا مـكان فيه لأي نظام يقهر الإنسـان، ويسـتعبده، ويحوله إلى فتافيت إنسـان.

-8-

إن ديكتاتوريـة الفـرد، وحكـم الشـخص الواحـد، يتسـاقطان في كل مـكان في العـالم، والشـعوب لم تعـد أغناماً تسـاق إلى الذبـح وهـي خائفـة مـن جزارهـا.

التحـولات التـي قلبـت المفاهيـم والأيديولوجيات والأفـكار الخاطئة يجـب أن تحولنا..

كل شيء يتحـرك مـن حولنـا ونحـن واقفـون.. وكل شيء يسـتيقظ ونحـن نائمـون.. ومـا لم ندخـل (نـادي التاريـخ) مع الداخلين، فسـوف نبقـى خـارج التاريخ.

بانتظار غودو

بانتظار غودو

لا يـزال الذيـن قطعـوا تذاكـر الدخـول إلى مسرح الخليـج، ينتظرون منـذ شـهر أغسـطس المـاضي، انفـراج السـتارة عـن مسرحيـة (بانتظار غـودو).. للكاتـب الإيرلنـدي الكبـير صامويـل بيكيت.

وإذا كان النقـاد المسرحيـون قـد اختلفـوا فيـما بينهـم عـلى هويـة غـودو.. ومدلولـه المسرحـي والفلسـفي والرمـزي في مخيلـة الكاتـب الإيرلنـدي، فبعضهـم قـال إنـه المنقـذ والمخلـص، وبعضهـم قـال إنـه العبـث.. وبعضهـم قـال إنـه الـلاشيء.. وبعضهـم قـال إنـه الـذي يـأتي ولا يـأتي..

وإذا كانـت هنـاك إشـكالية حـول شـخصية (غـودو) لـدى المثقفـين الأوروبيـين، فـإن (غـودو) الـذي ننتظـره في الخليـج لا يحتمـل الرمـز والتأويـل والتفسـيرات الميتافيزيقيـة..

غـودو الـذي ننتظـره.. ليـس مجهـول الاسـم واللقب والجنسـية، بل هـو أمريـكي أباً عـن جد..

وإذا كان (غـودو) صامويـل بيكيـت.. يبقـى دائماً خلـف الكواليس، ولا يظهـر عـلى خشـبة المـسرح أبـداً.. بـل يبقى مجـرد رمـز واحتمال، فـإن (غـودو الأمريـكي) يظهـر عـلى شاشـات التلفزيـون دون انقطاع، ويتكلـم مـع الصحافـة، ولـه مستشـارون، وخـبراء، وناطقون رسـميون باسـمه، وأسـطول إعلامـي لـه أول وليس لـه آخر.

هـذه الصراحـة لـدى (غـودو الأمريـكي) صراحـة جميلـة، ومطلوبة، وتنبـع من جـذور ديمقراطية أصيلة، ومنذ الفصـل الأول من المسرحية وقـف غـودو أمام المتفرجـين، وقال بصـوت مرتفع:

«أنـا المنقـذ.. والمخلـص.. ولسـوف أعيـد الكويـت ملفوفـة بشريـط مـن القصـب.. مـع بابـا نويل».

طبعـاً.. الكويتيـون صفقـوا تصفيقـاً حـاداً لــ «غـودو»، وطلبـوا من زوجاتهـم أن يحزمـن الحقائـب اسـتعداداً للرجـوع إلى الأندلـس.. قبـل كريسـتماس.. ونحـن الآن في نهايـات شـهر ديسـمبر، والأطفـال الكويتيـون يتطلعـون إلى بابـا نويـل الجالـس بردائـه الأحمـر، ولحيته البيضـاء في واجهـات المحـلات الكبرى في لندن، ويسـألونه: يـا عمنا بابا نويـل متـى تضعنـا في كيسـك.. وتأخذنـا معـك إلى بلادنا؟.. فيتسـاقط الدمـع عـلى لحيتـه البيضـاء.. ولا يجيـب.

ربمـا كان (غـودو الأمريـكي).. معـذوراً في صـبره وطـول بالـه، لأن طبيعـة النظـام في الولايـات المتحـدة ورقابـة المؤسسـات التشريعيـة والدسـتورية الصارمـة تقيـد حرية قـراره، ولا تترك له إلا هامشـاً ضيقاً للتصرف.

ولكـن مـا نأخذ على غـودو الأمريكي هو الانفعـال السريع، والهبوط السريـع، وزئبقية المواقف.

إن الخـط البيـاني المترجـرج والمتعـرج للمواقـف الأمريكيـة منـذ انفجـار أزمـة الخليـج حتـى الآن، أوقـع العـالم في الحـيرة والشـكوك ودوامـة الكلـمات المتقاطعـة.

والـذي يدعـو إلى الدهشـة أن العـالم بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، وخـروج الاتحـاد السـوفييتي مـن لعبـة الأمـم، وأصبـح بيـد (غـودو

الأمريكي).. بعد أن خرج (غودو السوفييتي) من حلبة المصارعة، وبالتالي فإن الملعب الدولي صار ملكاً للولايات المتحدة وحدها.. تتصرف فيه كما تشاء، ودون أي منازع.

ومثل هذا الوضع (الممتاز) و(الاستثنائي) أعطى الولايات المتحدة امتيازاً عالمياً وحصرياً (EXCLUSIVE) يسمح لها بممارسة جميع ألعاب القوى والجمباز فوق حلبة فارغة..

يضاف إلى هذا الامتياز، عشرات القرارات الدولية، وتفويض مطلق من مجلس الأمن باستعمال القوة إذ لم يستجب العراق لإرادة المجتمع الدولي..

ولكن الذي حصل أن الملاكم الكبير الذي كان يريد أن يسقط النظام العراقي بالضربة القاضية، ترك الحلبة بصورة مفاجئة ليشرب زجاجة بيبسي كولا مع طارق عزيز وزير خارجية العراق.

●●●

إنني لم أكن أتصور أن كل هذه الـ (أرمادا) التي تتجمع في مياه الخليج، وكل هذه البنايات البحرية العائمة، وكل هؤلاء الماريشالات والجنرالات والكولونيلات، وكل (جرذان الصحراء).. جاؤوا ليشربوا البيبسي كولا.. على شرف امرئ القيس..

ولكن مسلسل الأحداث والتصريحات، والتصريحات المضادة، والغضب والرضا، والقبول، والرياح الشمالية والرياح الجنوبية، والأمواج العالية والأمواج الواطئة، والكلام العصبي والكلام الرقيق، جعلتنا نشك بذكائنا، ومنطقنا، وفطنتنا، ونحس بأننا في حمام تركي.. طاسة باردة وطاسة ساخنة.

●●●

ولقد تعودنا -نحن العرب- أن نرى ظاهر الأشياء، وقشرتها الخارجية دون أن نتعمق فيما وراء الأشياء.. ودون أن ننتبه إلى ما يجري تحت أقدامنا من مياه جوفية..

إن كثيراً من الأشياء التي تجري من حولنا على مسرح السياسة الخارجية لا تدعو إلى الارتياح..

فزيارة شامير، قبل وصول طارق عزيز إلى واشنطن، غير مريحة، ولا سيما حين يؤكد شامير لمراسلي الصحف الأمريكية ووكالات الأنباء أن الرئيس جورج بوش طمأنه إلى أن قضية الخليج لن تحل على حساب إسرائيل..

كما أن لقاء شامير بإدوارد شفرنادزه، واتفاقهما على تطبيع العلاقات السوفييتية الإسرائيلية في القريب العاجل، سوف يزيل آخر العقبات في طريق هجرة اليهود السوفييت الشاملة إلى فلسطين المحتلة..

ولقد أصبح معروفاً لدينا بعد تجاربنا الطويلة أن دخول إسرائيل على الخط.. ينذر بشرور خطيرة.. وبتعقيد كل الحلول الممكنة.

وإذا كانت القضية اللبنانية بقيت بلا حل حتى الآن.. وإذا كان السلام اللبناني سوف يبقى مستحيلاً طالما أن إسرائيل مزروعة في خاصرة لبنان الجنوبية.. وإذا كان الحوار الأمريكي – الفلسطيني قد فشل فشلاً ذريعاً.. فكل هذا من بركات السيدة إسرائيل..

إن إسرائيل هي لغم موقوت مزروع تحت أي قضية عربية..

وهذا يدفعنا إلى الحذر والحيطة وإلى مراقبة تحركات المياه الجوفية تحت الأرض العربية..

●●●

إنني ككاتبة أستعمل حواسي الخمس، وأقرأ جميع ما يقع في يدي من كلام المعلقين والمحللين، وأتابع تقارير معاهد البحوث الإستراتيجية، واستفتاءات معهد (غالوب)..

ولكنني أعترف لكم بأنني لا أفهم في لعبة الكراسي الموسيقية، ولا أعرف شيئاً عن تحركات المياه الجوفية.. ولا أؤمن بالتنجيم في علم السياسة..

أنا، مثل الملايين من أفراد الشعب العربي الطيب، أحاول أن أفهم، وأن أستعمل عقلي لمعرفة ما يدور في رأس (غودو)..

ولكنني أعترف لكم بأنني لا أفهم كلمة واحدة من مسرحية اللامعقول، التي تعرض بنجاح كبير على مسرح الخليج..

ثم أعترف لكم بأنني بعد مرور أكثر من أربعة أشهر على عرض المسرحية، وبعد أن شاهدتها خمسين مرة.. لم أستطع أن أفكك رموز اللغة التي يتكلم بها (غودو).. ولا أن أفهم ما يريد..

نحن العرب طيبون، وبسطاء، ومقتلنا يكمن في أننا نعشق الفصاحة.. ولو كانت هذه الفصاحة باللغة الإنجليزية.

ولقد كان كلام الرئيس بوش في بداية الأزمة.. قوياً، وفصيحاً وقاطعاً كالسيف.. ثم بدأ الكلام يلين.. ويشف.. ويترقرق كجدول ماء..

طبعاً أنا لست ضد الرقة واللطف والكلام الجميل، ولكن الكلام اللطيف مع خشبة.. لا يجدي شيئاً..

ثم إنني لست ضد اللجوء إلى الأقنية الدبلوماسية.. ولكن الدبلوماسية مع رجل يحمل في يده قنبلة ويهدد بتفجير العالم.. قد لا يكون السلوك المثالي..

الرئيس بوش صار يقول شعراً.. ونحن العرب ضعفاء أمام عبقرية الشعراء وإيقاع القصائد..

والذي أخشاه أن تضيع الكويت.. تحت أقدام شكسبير، وت.إس إيليوت، وووولت ويتمان.. وإدغاربو، والخليل بن أحمد الفراهيدي.

●●●

قد يكون للأمريكيين طبيعتهم في العمل، وقد تكون لهم إستراتيجيتهم الخاصة في النظر إلى قضايا العالم، وقد يكون نظامهم الديمقراطي عائقاً في اتخاذ القرار، ولكن الأكيد أن الديمقراطية لم تكن يوماً عثرة في وجه المواقف الصعبة.

فمارغريت تاتشر كانت رئيسة وزراء دولة عريقة في ديمقراطيتها لمدة أحد عشر عاماً، ولكنها احترفت المواجهة في القضايا العالمية.. ولم تحترف قول الشعر..

إن ثمة شواهد في التاريخ السياسي الأمريكي المعاصر، لا تدعو إلى الارتياح، وعلى رأس هذه الشواهد القضية المعروفة باسم (إيران - جيت)، والتعامل الأمريكي مع الحرب الأهلية في لبنان..

لذلك فإن على العرب ألا يضعوا أرجلهم في ماء بارد، وألا يضعوا بيضهم في سلة واحدة..

فالاعتماد الكلي والمطلق على خدمات الدول العظمى، فيه الكثير من المحاذير، لأن هذه الدول لها أهدافها الإستراتيجية والاقتصادية البعيدة، ولا تخدم أحداً مجاناً.

العرب إذن معذورون إذا تشككوا، ولقد قال الفلاسفة قديماً: إن الشك هو الطريق إلى اليقين.

وعـلى العـرب إذا أرادوا البقـاء، أن يبقـوا دائمـاً حذريـن، ومتحفزين ومسـتنفرين، وأن يحاولـوا قـدر الإمـكان أن يعتمـدوا عـلى جهدهـم الـذاتي، وتجميـع قواهـم المشـتتة، ومواردهـم الكبـيرة، وطاقاتهـم البشريـة الهائلـة.

قـد يكـون هـذا الـكلام كلاسـيكياً، وتحصيـل حاصـل، وقـد تكـون الدعـوة إلى تجمـع الإخـوة الأعداء دعوة رومانسـية، وطوباوية لا تجد من يسـمعها:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

لكـن السـيف المرفـوع فـوق رؤوسـنا جميعـاً.. لم يعـد يسـمح لأحـد بـأن يتسـلى في عـدّ نجـوم السـماء.. أو أوراق الشـجر.. أو أرقـام السـيارات..

لم يعـد لدينـا الوقت الـكافي لنحصي عدد عظـام رقبتنـا.. لأن رقابنا.. طائرة.. طائـرة.. طائرة..

فهل سيأتي كريستماس القادم.. وأنتم بخير!!..

رامبو.. يُصوِّر فيلما
في الخلَيج

رامبو.. يُصوِّر فيلماً في الخليج

ليس هذا المقال عن فن السينما، كما قد يوحي العنوان، بقدر ما هو مقال عن السياسة التي تحولت مع الأيام إلى سينما.. وإلى فيلم طويل متعب للعيون والأعصاب..

العنوان مقتبس من تصريح لوزير الدفاع البريطاني الأسبق دينيس هيلي من حزب العمال، قال: إن الرئيس الأمريكي يتعامل مع أزمة الخليج بمنطق (رامبو).

ورامبو كما تعلمون هو فيلم أمريكي مشهور حاول فيه الممثل سيلفستر ستالون أن يعيد الاعتبار إلى المقاتل الأمريكي في حرب فيتنام.

والواقع، أن المشهد الخليجي لا يزال، بعد خمسة أشهر من الاحتلال العراقي للكويت، مشهداً سينمائياً بكل ما ينطوي عليه فن السينما، من ديكورات، وإضاءة، ومكياج، وملابس تنكرية، ومؤثرات صوتية، وخدع سينمائية.

وإذا كانت الأفلام عادة لها بداية ولها نهاية، ولها سيناريو مكتوب وعقدة درامية يحاول المؤلف أن يجد حلاً لها في نهاية الفيلم، فإن فيلم الخليج يخرج عن قواعد الفن السينمائي، فله بداية وليس له نهاية، ولا يعتمد على أي سيناريو جاهز، أو نص مكتوب، لذلك ترى الممثلين يخرجون على النص.. و(يرتجلون) نصوصاً من عندهم

هـي أقرب للهلوسـة، والتشـنجات العصبية.

خمسـة أشـهر مـرت، ولا يـزال الارتجـال السـياسي والإعلامـي سـيد المواقـف، ولا يـزال (الـردح التلفزيـوني) مسـتمراً عـلى جميـع الأقنيـة بـين رامبـو الأمريـكي.. ونبوخـذ نـصر العراقـي..

الأول يسـتعرض عضلاتـه عـلى طريقـة محمـد عـلي كلاي.. والثـاني يـبرم شـواربه عـلى طريقـة الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي..

أي أن الحـرب بـين رامبـو ونبوخـذ نـصّر.. لم تخـرج حتـى الآن عـن كونهـا (خناقـة) تشـابه الخناقـات التـي تجـري بـين (فتـوات) مـصر.. أو (قبضايـات) لبنـان، لا تتجـاوز الاشـتباك بالأيـدي أو اسـتخدام الخيزرانـات.. أو الشـتائم..

وفي مثل هذه الخناقات السـينمائية لا يسـقط أحد قتيلاً، أو جريحاً، ولكـن الجرحـى والقتـلى عـادة مـن عابـري السـبيل، أو وسـطاء الخير الذيـن يحاولـون فك الاشـتباك بـين المتقاتلـين. وإذا كانـت أمريكا هي أم السـينما، ورائـدة هـذا الفن العظيـم، باعتراف الجميـع، فإن جميع مـن شـاهدوا فيلمهـا الأخـير عـن أزمـة الخليـج، مـن نقاد سـينمائيين، وخـبراء في شـؤون المـسرح، أجمعـوا عـلى أن مـا شـاهدوه لم يكن أكثر مـن (سـينما أونطـة)، كما يقول إخواننـا المصريون عن الأفلام الفاشـلة حواراً.. وإخراجـاً.. وتمثيلاً.

وإذا كانـت الولايـات المتحـدة متقدمـة ورائـدة في صناعة السـينما، فليـس مـن الـضروري أبـداً أن تكـون متقدمـة في صناعـة السياسـة الخارجيـة، وإدارة أزمـات العـالم، فالسـينما شيء.. وتقرير مصائر الأمم شيء آخـر..

والمعـارك الحربيـة عـلى الشاشـة شيء.. والمعـارك عـلى الأرض شيء

آخـر.. والانتصـارات في (هوليـود).. أسـهل بكثـير مـن الانتصـارات في الصحـارى العربيـة.

إن الأفـلام الناجحـة لا تسـتمد عناصرهـا مـن الخيـال، والخرافـة، والبطـولات الوهميـة فحسـب، وإنمـا تأخـذ أهميتها مـن أرض الواقع، وتحليـل عنـاصره السياسـية والاجتماعيـة والنفسـية، وقـراءة تاريـخ الشـعوب.

لقـد قاتـل رامبـو (سـينمائياً).. حتـى انتـصر عـلى أعدائـه جميعـاً.. واجـترح من الخـوارق، والعجائب، والمعجزات، مـا يعجز عنه أي كائن بـشري، وقـام بمهـمات حربيـة يعجـز حتـى الجن عـن القيـام بمثلها..

وقـد أدهشـت مغامـرات رامبـو محبـي السـينما في كل مـكان، إلى الحـد الـذي دفـع الرئيـس الأمريـكي رونالد ريغـان إلى اعتبـاره نموذجاً للبطـل القومـي الأمريكي.

وعندمـا اشـتعلت أزمـة الخليـج، وطـارت دولـة الكويـت مـن الخريطـة، وأرسـلت أمريـكا بوارجهـا البحريـة، وآلتهـا العسـكرية الجبـارة إلى المنطقـة، عـادت إلى أذهاننـا عـلى الفـور صـورة رامبـو بجسـمه الأولمبـي، وعضلاتـه المفتولـة، وعينيـه اللتـين يقـدح منهـما الـشرر..

وتصورنـا أن رامبـو سـوف يخـرج (الزيـر مـن البـير) كـما فعـل في الفيلـم.. ويطحـن الدبابـات بقبضـة يـده.. ويـأكل المعتديـن عـلى سـيادة الكويـت بـلا ملح.. ويعيـد الكويتيين إلى ديرتهـم.. وديوانياتهم المهجـورة..

ولكـن الآمـال ما لبثـت أن تراجعت.. واكتشـفنا أن رامبو الذي يأكل الزجـاج في إسـتوديوهات هوليـود.. هـو غـير رامبو الذي يـأكل الجراد

المشوي في الربع الخالي.. كما اكتشفنا أن البطولات التي يصنعها مخرجو الأفلام في شركة مترو غولدين ماير.. تختلف تماماً عن البطولات التي يصنعها مركز الدراسات الإستراتيجية في البنتاغون.

●●●

لماذا غامت صورة رامبو الأمريكي في الأذهان؟

ولماذا بدأ الكويتيون المتناثرون كالغبار على سطح الكرة الأرضية، يضجرون من رتابة الفيلم.. وعدم كفاءة الممثلين، وتشعب الحوار، وهذا التناقض الدراماتيكي بين القادة العسكريين حول كفاءة القوات الأمريكية في الخليج، وجاهزيتها للقتال، فهذا يريد القتال في الشتاء.. وذلك يريده في الربيع.. والثالث يريده في الخريف.. والرابع لا يؤمن بالحرب في أي فصل من فصول السنة الميلادية.. أو الشمسية.. أو القمرية.. أو الصينية.. وإنما يريد أن يرجع في أقرب فرصة إلى بلده.. ليأكل وجبة سريعة عند (ماكدونالد)..

ثم تأتي أخبار لوجستية من جبهة الخليج لتزيد الأمر عبثية وسخرية، قائلة إن المعدات الإلكترونية المتطورة التي حملتها معها القوات المشتركة لم يناسبها الطقس الحار، والغبار الصحراوي، والعواصف الرملية.. فتحولت إلى أجساد معدنية، وأكوام من الخردة، لا تستجيب لتوسلات وأوامر الكومبيوتر.. بحيث صار الصاروخ يصعد إلى أسفل.. والطائرة العمودية تطلع ولا تنزل.. والرادارات لا تعرف مكان النجوم والعصافير.. وحاملات الطائرات بحاجة إلى من يحملها.. والمدرعات أصبحت بيتاً للعقارب والثعابين.

وقد تكون هذه التقارير جزءاً من الحرب النفسية.. ولكن مهما

كانـت نسـبة الصدق فيهـا، فإنهـا لا تدعو إلى البهجـة والانشراح.

هـذا القلـق النفـسي، والعسـكري، والإسـتراتيجي لـدى رامبـو هـو الـذي أعطـى نبوخذنـصّر العراقـي القـدرة عـلى المنـاورة والمماطلـة، واللعـب بالوقـت، والتشـكيك بقـدرات رامبـو على تحقيـق أي انتصار حربي.

ويبـدو أن نبوخذنـصّر، قـد اكتشـف نقـاط الضعـف في جسـد القـوات الأمريكيـة والأوروبية المشـتركة، فبدأ يتحدث بلغـة الكيمياء، والجراثيـم، والأوبئـة، والأرض المحروقـة، بحيـث لا يبقـى مـن الخليـج حجـر فـوق حجـر، ولا يبقـى مـن آبـار النفـط قطـرة واحدة يسـتفيد منهـا الغـرب في تشـغيل مصانعـه، والمحافظة على مسـتواه الحضاري.

ولمـا كانـت الولايـات المتحـدة وحليفاتهـا الغربيـات قـد جـاءت إلى الخليـج لحمايـة مصالحهـا الاقتصاديـة أولاً.. وتأمين مخزونهـا النفطي ثانيـاً.. وتحريـر الكويـت عـاشراً.. فـلا بـد قبل اتخـاذ قـرار الحرب من التدقيـق في حسـاب الربـح والخسـارة، ثـم إن الحديـث عـن حجـم الخسـائر البشرية التي سـوف تتكبدها القوات المشـتركة في السـاعات الأولى مـن انـدلاع الحـرب، لا بـد لـه من أن يُحـدث ردة فعـل عميقة في المجتمـع الأمريـكي والأوروبي لا يمكـن للحكومـات أن تتجاهلهـا.

مـن هنـا كانـت حـيرة (رامبـو).. وقلقـه.. وتـرددده في اتخـاذ القرار.. ومـن هنـا كان عناد نبوخذنصّر.. وغروره.. وتشـبثه بأفـكاره ومواقفه، وإصراره عـلى إحـراق العـالم، قبـل أن تصـل النـار إليه.

إن الحـوار الجـاري بـين رامبـو الأمريـكي.. ونبوخذنـصّر العراقي هو في حقيقتـه حـوار بـين مديـر مـصرف ومقامر..

مديـر المـصرف يحسـبها بالدراهـم والبنسـات والملاليـم، ويتقـاضى

مـن زبائنـه الأتعـاب وكلفـة الدفـاع عـن نفـط الخليـج الـذي لـه منه حصـة الأسـد، ويقـدم فواتـير يوميـة عـن كل زجاجة كوكا كـولا يشربها جنـوده في الخليج..

والمقامـر.. لا يعـرف شـيئاً من جدول الجمع والطرح والقسـمة، فهو قـد اسـتولى بالمسـدس والمدفـع الرشـاش عـلى جميـع بنـوك الكويت، وكـسر خزائنهـا، ووضـع أرصدتهـا في جيبـه، وبالتـالي فهو ليـس بحاجة إلى أي مستشـار مـالي، أو أي محاسـب قانوني..

رامبـو.. لديه كونغرس، ومجلس شـيوخ، وقوانين فيدرالية.. تحاسـبه عـلى كل غلطة..

والرئيـس صـدام حسـين.. لا يستشـير سـوى صـدام حسـين.. وعندما يلتقـي بأعضـاء مجلس قيـادة الثـورة، أو القيادة القوميـة أو القطرية لحـزب البعـث، فإنـه يلتقـي بعشريـن أو ثلاثـين نسـخة مـن صـدام حسـين يشـبهونه كالتوائـم.. حتـى ليصعـب عليـك أن تفرق بـين وزير الدفـاع، أو وزيـر الخارجية، أو وزير الإعـلام، أو وزير الداخلية، فكلهم مسـحوبون عـلى الآلة الناسـخة..

وهكـذا فـإن الكويـت، واقعة بـين نارين: نار صاحـب المصرف الذي لا يفكـر إلا بالكمبيوتـر ولا يحـارب إلا بالكمبيوتـر، ولا يرسـل جنديـاً واحـداً إلى الخليـج إلا بعـد قبـض الفاتورة مـع فوائدها.

ونـار المقامـر، الـذي يقود سـيارة مفخخـة ووراءه في المقعد الخلفي مئتـا مليـون عربي، لا يعرفـون إلى أين؟

الكويتيـون الذيـن ودعـوا سـنة 1990 وهـم في منافيهـم، يشـعرون أن بلادهـم قـد تحـرّرت (سـينمائياً).. أما تحرير الأرض فـلا يزال علمه عنـد اللـه.. وبانتظـار الجـنرال رامبو..

صواريخ لا عقل لها..

صواريخ لا عقل لها..

صواريخ (الحسين) و(العباس) التي يطلقها النظام العراقي، في حربه الانتحارية، أضاعت عقلها السياسي، والإستراتيجي، والقومي، فلم تعد تميز بين اللون الأبيض واللون الأسود، وبين المباح والمحظور، وبين المعقول واللامعقول.

لقد تساوى لديها الماء والحجر..

وتساوى العرب والكيان الصهيوني..

وتساوت المدن التي تعبد الرحمن، والمدن التي تعبد الشيطان..

وإلا فمن كان يصدق أن مطلق الصواريخ قد أصيب بعمى الألوان، فلم يعد يفرق بين مدينة تل أبيب، ومدينة الرياض.. وبين مدينة حيفا ومدينة الظهران.. وبين سكان حارة (اليهود).. وسكان (حارة المسلمين).

وإذا كان صاروخ (الحسين) يريد أن ينتقم من إسحق شامير.. فلماذا يحاول قتل ذرية الحسين؟؟

وإذا كان يريد أن يصيب حائط المبكى.. وقبر دافيد بن غوريون.. فلماذا يستهدف قبر الرسول محمد بن عبد الله؟؟

وإذا كانت الكويت هي ابنة العراق الشرعية التي طال غيابها عن الوطن الأم، فلماذا أمر النظام العراقي بإشعال النار في آبار النفط ومصافيه في الكويت؟

وهل ثمة أب في الدنيا يضرم النار في ثياب ابنته الغالية؟؟

لقد كشفت حرب الخليج عن التناقض الصارخ بين الأيديولوجية والتطبيق، وبين الفكر والسلوك، وبين النظرية والممارسة.

فالنظام العراقي الذي أطلق في بداية الأزمة عشرات الشعارات البراقة، وغلّفها مرة بالفكر الوحدوي، ومرة بالبرقع الديني، ومرة بالجهاد الإسلامي، لم يلبث أن انقلب في الساعات الأولى من الحرب على كل الشعارات التي طرحها لكسب الشارع العربي والإسلامي، ووجّه صواريخه بالعدل والمساواة إلى جميع الاتجاهات، والعواصم، دون تمييز بين الأهداف الصهيونية، والأهداف العربية والإسلامية..

وبالتالي، فإن العرب تلقوا من صواريخ النظام العراقي أضعاف ما تلقته إسرائيل، من هدايا الموت والدمار.

إنه لم يحدث في التاريخ العربي أن ضاع الصواب، وانطفأ العقل، ومات البصر والبصيرة، كما يحدث في هذه الأيام.

لم يحدث أبداً، أن يشرب العربي من دم العربي حتى يسكر..

وأن يحرق العربي جسد أخيه العربي، ويتلذذ برائحة الشواء..

فالصواريخ العربية تسقط فوق رؤوس العرب، والمدافع العربية تدك عواصمهم، والمنطقة كلها كرة مشتعلة تتدحرج نحو الهاوية، والإنسان العربي مسحوق كالفأرة بين أقدام المقاتلين..

هذا هو الخراب الكبير الذي لا خراب بعده..

وهذا هو الموت الأخير، الذي لا قيامة بعده..

أية حرب هذه.. تلك التي غطسنا فيها النظام العراقي رغم أنوفنا؟

هل هي حرب لمجد العرب، أم هي حرب لكسر رؤوسهم؟

هل هي ولادة جديدة للأمة العربية، أم هي بداية لانقراضها؟

هل هي عمل توحيدي، أم هي عمل تخريبي، وتجزيئي،

وانفصالي من الطراز الأول؟

هل هي معركة الغرور القومي، أم معركة الغرور الشخصي؟

وأخيراً، هل هي معركة تاريخية -كما يقول الذي أشعلها- أم هي معركة لمحونا من كتاب التاريخ؟

إن العراق بلد عربي، عريق، ومتحضر، وحبيب علينا ككل الدول العربية، فلماذا وضعه النظام العراقي في مرمى النار؟.. ولماذا تسبب في إحراق مدنه، ومصانعه، واقتصاده، وثرواته، ومشاريعه التنموية، وطموحه العلمي، ونهضته العمرانية وأحلامه الحضارية الكبرى التي كانت جزءاً من أحلامنا لدخول القرن الواحد والعشرين؟ وليس ثمة عربي واحد يشمت بسقوط العراق، فهو جزء لا يتجزأ من كتاب التاريخ العربي الكبير.

وإذا كان رجل عراقي واحد قد ركب رأسه، واعتدى بقوة السلاح على أهله وأبناء عمومته، واستباح سيادتهم، وبيوتهم وأرزاقهم، فإن هذا الرجل ونظامه هو الذي يحاسب على فعلته.

أما إسرائيل فهي الرابحة الأولى في حرب الخليج.

إنها تتلقى صواريخ (سكود) بفرح وشوق عظيمين، كأنها تتلقى قالباً من الحلوى، أو باقة من الأزهار..

فما دام كل صاروخ يسقط عليها، يدرُّ عليها مليار دولار، فلماذا ترفض نعمة النظام العراقي عليها؟

وما دامت الثمار الطازجة كلها تسقط في سلة الكيان الصهيوني، وما دام العالم كله أصبح مقتنعاً بأن إسرائيل ليست سوى حمامة مسكينة ومسالمة وقعت بين مخالب العرب، وما دامت القضية الفلسطينية قد تراجعت إلى الوراء.. وثورة الحجارة قد ضربت على رأسها.. وإقامة الدولة الفلسطينية أصبحت في عالم التمنيات،

والهجـرة اليهوديـة من الاتحاد السـوفييتي تسـير حسـب المخطط لها، دون اعـتراض ودون ضجـة إعلاميـة..

وإذا كانـت كل هـذه الـبركات والنعـم قـد هبطت عـلى إسرائيل مع صواريـخ (الحسـين) و(العبـاس).. ولم تـترك في شـوارع تل أبيب سـوى حفرة صغيرة.. وسـيارة محترقة.. وزجاج مكسور.. فما أرخص الثمن!!..

إن (صمـت) إسرائيـل، وبـرود أعصابهـا، وامتناعهـا عـن أخـذ الثـأر أكسـبها تقديـر العـالم وإعجابـه، وسـهّل مهمـة اللوبي اليهـودي في كل مـكان في العـالم، بحيـث أصبحـت (حرفـة الشـحاذة) الإسرائيليـة أكثر نشـاطاً وازدهـاراً.. وأصبحـت دول العالم تتسـابق (لبخششـة) إسرائيل ببلايـين الـدولارات.. لقـاء أدبها، وحسـن سـلوكها..

لقـد ربحـت إسرائيـل خـلال الأسـبوع الأول مـن حـرب الخليـج، أرباحـاً خرافيـة، دبلوماسـياً، وسياسـياً، وماليـاً، وعسـكرياً..

كان آخرها هدية صواريخ باتريوت إليها..

هـذه هـي حصيلـة (المفرقعـات) التـي أطلقتهـا القيـادة العراقيـة لتحريـر فلسـطين، والفلسـطينيين.

(مفرقعـات).. حولتهـا إسرائيـل بذكائهـا إلى مـشروع اسـتثماري وتجـاري وابتـزازي، وإلى حائـط مبـكى جديـد تـذرف عليـه دموعهـا.

أمـا نحـن فـلا نـزال نتفـرج ببلاهـة عـلى حفلـة الألعـاب الناريـة..

وهكـذا تتـصرف إسرائيـل بذكائهـا المعـروف..

ونتصرف نحن بغبائنا المعروف..

●●●

تتصور القيادة العراقية أنها بهذه المفرقعات الإعلامية تستطيع أن تحرض الشارع العربي والإسلامي..

ولكن الذي حدث، أن هذه المفرقعات لم تنفجر في خندق الأعداء، وإنما انفجرت في ثيابنا.. ولم تؤد إلى تحرير شبر واحد من فلسطين المحتلة، وإنما أدت إلى تشديد قبضة إسرائيل عليها.. ولم تحرك قضية إنشاء الدولة الفلسطينية، بل أدخلتها في ملفات النسيان..

هذا هو المردود السياسي، والإستراتيجي، والإعلامي لهذه المفرقعات، التي تركت حفرة هنا.. وحفرة هناك.. ولكنها لم تسقط شعرة واحدة من رأس إسرائيل..

إن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم بهذا الشكل العشوائي والانفعالي، والنضال من أجل استعادتها لا بد أن يرتكز على إستراتيجية عربية قومية ووحدوية توضع فيها جميع إمكانيات الأمة العسكرية، والبشرية، والاقتصادية على أرض المعركة.

أما استعمال فلسطين كمادة إعلامية، واستعراضية ودعائية على النحو الذي يلجأ إليه النظام العراقي، من أجل خلط الأوراق، وبلبلة الشارع العربي، وتهييج المشاعر الإسلامية والعربية، فلعبة مكشوفة لا تنطلي على أحد.. لأن الذي احتل الكويت بقوة السلاح، لا يحق له أن ينتقد إسرائيل إذا احتلت فلسطين بقوة السلاح أيضاً..

إن كل الاحتلالات تتشابه شكلاً وموضوعاً..

لذلك فإن النظام العراقي، باحتلاله الكويت، لم يعد مسموحاً له أن يقيم الدعوى على إسرائيل بتهمة احتلال فلسطين..

أما المفرقعات الانتخابية التي يطلقها كل ليلة في كل الاتجاهات

فلـن تغير شـيئاً.. ولن تمنع الخـراب.. خراب العقل العربي، والمسـتقبل العربي..

إننـي لا أعـترض عـلى الصواريـخ العراقيـة كجـزء من السـلاح العربي الـذي ندّخـره للمعركـة الكـبرى، وإنمـا أعـترض عـلى توقيتهـا.. وعـلى توظيفهـا للخـروج مـن مـأزق شـخصي.. ومشـكلة فرديـة..

فلقـد كان بإمـكان هـذه الصواريـخ أن تظهـر في مناسـبات قوميـة كثـيرة.. ابتـداء من حـرب 1967 ومروراً بحـرب 1973، وانتهاء باجتياح إسرائيـل للبنـان عـام 1982، وضرب المفاعـل النـووي العراقـي، ولكنها مـع الأسـف كانـت خـلال عقدين مـن الزمـن في إجـازة طويلة..

لذلـك فـإن ظهورها الآن، أي بعـد احتلال الكويت، وانقسـام العرب إلى عربـين، وتناقـض المواقـف، وصراع الأيديولوجيات.. يبـدو مصطنعاً ومتأخـراً ومناقضـاً للتوقيت القومي.

صحيـح أن إطـلاق الصواريـخ قـد يحـرك الخيـال العـربي، ويحـرض الأحـلام القوميـة المكبوتـة، ويدغـدغ غرائـز الثأر لـدى العـرب، الذين طالمـا تعرضـوا للاجتيـاح والغـزو والاحتـلال والإذلال..

لكـنّ المعركـة مـع إسرائيـل لـن تنجـح إلا إذا كانت معركة شـمولية يسـتنفر لهـا العـرب جميـع طاقاتهـم البشريـة والاقتصاديـة والعلمية والثقافيـة والحضارية..

أمـا الصواريـخ الفرديـة التـي تطلـق لإرضـاء غـرور شـخص مـا.. أو نرجسـية نظـام مـا.. فلـن تربـح حربـاً.. ولـن تحـرر أرضـاً..

صباح الخير..
أيتها الحرية

صباح الخير.. أيتها الحرية

بعد مئتين وعشرة أيام، وثماني ساعات، وعشرين دقيقة، وخمس ثوان، عددتها على أصابع يدي، كما يعد المساجين فتافيت الخبز، وأعقاب السجائر، وخيطان بطانياتهم..

دخلت عليّ رائحةُ الكويت من نافذة منفاي في لندن، فاخضرّ لون دمي.. وتسلّق العشب على جدران ذاكرتي..

●●●

ما أطول زمنَ المحبوسين في زجاجة الأنظمة الفردية..

زمن من الخَشبَ..

لا يتقدمّ.. ولا يتأخّر.. ولا يشيخ..

●●●

بعد مئتين وعشرة أيام..

أكلتُ فيها نصفَ أظفاري.. ونصفَ دفاتري..

استيقظت صباحاً لأجد مئات الهدايا مكوّمةً فوق سريري..

القمر الكويتي في كيس..

أبراج الكويت في كيس..

دشْدَاشَتي الصيفية في كيس..

ألعاب أولادي، ودفاترهم المدرسية في كيس..

صورة «مبارك الكبير» في كيس..

والبحـر، والكورنيـش، والسـالمية، والجابريـة، ومـشرف، ودسـمان، والشـويخ، والفحيحيـل، والأحمـدي.. وورـة.. وفيلـكا..

كلهـا كانـت ملفوفـة بـأوراق «السـولوفان» والقصـب.. تنتظـر إلى جانـب سريـري..

●●●

رائحة الكويت تهاجمني من كل الجهات..

رائحة الشاي والقهوة في الديوانيات تخترقني من كل مكان..

تبللني.. تثقبني.. تحفرني..

كنت أتصور قبل احتلال بلادي، أن رائحة الحرية رائحة عاطفية، وشعرية، وكمالية.. وأن الطغاة يمكنهم أن يمنعوا استيرادها بمرسوم صادر عن مجلس قيادة الثورة، أسوة بكل مستحضرات الحرية الأخرى من أقلام وأوراق ودفاتر..

ولكنني اكتشفت أن رائحة الحرية هي أقوى الروائح، وأعنفها، وأكثرها التصاقاً بأجسادنا وأرواحنا..

بعد مئتين وعشرة أيام على اختطافها..

عادت إلينا الكويت وجهاً مغسولاً بالدمع والحزن والكبرياء..

عادت منهكةً، محطمة، ممزقة الثياب، دامية الشفتين.. لن ندخل في تفاصيل خطفها.. ولن نسجل إفادتها، ولن نجري معها حواراً صحافياً.. لأنها تعاني من صدمة عصبية قوية، ولأن حالتها النفسية لا تسمح لها بالكلام مع أحد..

ثم لن نسألها عن اسم المعتدي، وعنوانه، وأوصافه.. فهو معروف جداً.. ومشهور جداً.. ويظهر كل ليلة على قناة الـ C.N.N.

●●●

بعد مئتين وعشرة أيام..

عـادت إلينـا الكويـت، حافيـةً، جائعـةً، مصابـةً بفقـر الـدم، بعد أن جرّدهـا الخاطفـون مـن حقيبـة يدهـا، وخاتـم زواجهـا، وآخر خمسـة دنانـير كانـت في جيبها..

بعد مئتين وعشرة أيام..

هربـتِ الكويـت مـن زوجهـا الفـظّ.. المتسـلّط.. والعـدواني.. الـذي تزوّجهـا رغـم أنفهـا بقـوة السـلاح.. وصواريـخ سـكود.. والكيميـائي المـزدوج..

بعد الزلزال

بعد الزلزال

في مثل هذا اليوم، قبل عام تعرض بلدي الحبيب الكويت لزلزال عنيف، لم يعرف تاريخ المنطقة زلزالاً أشد منه هولاً، وبشاعة، وتدميراً.

زلزال لئيم ضرب خلال لحظات البنية القومية للأمة العربية، وأعادنا سياسياً إلى نقطة الصفر.

زلزال غيّر تضاريس الأرض، وتضاريس الإنسان، وحول العقل العربي إلى منخل بألوف الثقوب.

زلزال غيّر قوانين البيئة، وأطفأ نور الشمس، وقتل الأسماك في خلجانها، والطيور في سماواتها، والأجنّة في أرحامها..

زلزال أخذ منّا أوكسجين الحرية، ولم يترك لنا سوى ثاني أوكسيد الكربون..

●●●

وإذا كانت الزلازل تقاس عادة بمقياس (ريختر)، فإن الزلزال الذي ضرب الكويت فجر الثاني من آب (أغسطس) 1990، كسر كل القوانين الجيولوجية والفيزيائية، من زلزال بومبي، إلى انفجار قنبلة هيروشيما، إلى طوفان بنغلاديش، إلى انفجار مفاعل شرنوبل.

وإذا كان بعض الزلازل يتمتع بحد أدنى من الأخلاق والرحمة والخوف من الله، فإن الزلزال العراقي الذي ضرب الكويت، لا علاقة له بأي مفهوم أخلاقي، أو حضاري، أو قومي، أو عروبي، أو إنساني.

إنه لعبة (بوكر) مكشوفة، لعب فيها الرئيس العراقي برصيد مئتي مليون ومصيرهم.. وخسر الأول والآخر..

●●●

ليس ثمة أوصاف، أو نعوت، أو مفردات، تكفي لوصف ما فعله النظام العراقي ببلدي.

هل أسمّي ما حدث استعماراً؟

لا.. فكلمة الاستعمار التي طالما رفضناها، وكرهناها، وقاومناها، تبدو متواضعة جداً، وبريئة جداً، ومظلومة جداً.. أمام تجربتنا مع (أبناء عمومتنا).

فنماذج الاستعمار القديمة كما عرفناها على يد البرتغاليين، والهولنديين، والطليان، والإنجليز، والفرنسيين.. كانت تعطي باليد اليمنى، وتأخذ باليد اليسرى، وتسرق ثمرة الشجرة، وتترك الشجرة.. وتأخذ نصف محصول الشاي، وتترك نصفه الآخر لشعوب المستعمرات.. وتحتكر مناجم الذهب والفضة، ولكنها لا تسرق الأساور والخواتم من خزائن النساء.. وتصطاد الأفيال والنمور، ولكنها لا تصطاد البشر.. وتأكل لحم الإنسان..

●●●

في اليـوم الثـاني مـن آب (أغسـطس) 1990، دخـل التاريـخ العـربي إلى ملجـأ الأيتـام.. وتقلـص الوطـن العـربي ليصبح بحجـم قرية صغيرة اسـمها (تكريت).

في مثـل هـذا اليـوم قبـل عـام تخلخلـت كثـير مـن القيم، وسـقطت عـشرات الأقنعـة.. وتكـسر زجـاج العروبـة ألـف قطعة..

في ذلـك اليـوم الشـديد.. تحولـت (الأمـة العربيـة ذات الرسـالة الخالـدة) إلى فتافيـت أمـة.. وتحـوّل مئتـا مليـون عربي خلال سـاعات إلى متسـولين عـلى أرصفـة العـالم، لا يعرفـون لمـاذا؟ ولا يعرفـون إلى أين؟..

●●●

في الثاني من شهر آب (أغسطس) 1990..
اختلطت أوراقنا بشكل كاريكاتوري.. كوميدي.. سيريالي..
أصبح احتلال الكويت حلالاً..
وتحرير فلسطين حراماً..
تحوّل الثوار إلى صيارفة..
وتحوّل الصيارفة إلى ثوريين.
لبس العلمانيون عمامة أبي حنيفة..
وصار تشاوشيسكو خليفة على المسلمين..
نهب الاشتراكيون كل ما في الكويت من أرزاق.. من طائرات البوينغ إلى إبرة الخياطة.. إلى حاضنات الأطفال..
وتركوا فقراء العالم العربي على الحصيرة..

●●●

بعد مرور عام على ادعاءات (الأمومة) العراقية الكاذبة..

تتلفَّتُ (المحافظة التاسعة عشرة) إلى أمها التي تدّعي الحنان..

فتكتشف أنها هربت من الباب الخلفي بعد أن سرقت ثياب طفلتها والغطاء.. وزجاجة الحليب..

فأي أمومة نموذجية تلك التي تضرم النار في ثياب ابنتها؟ وفي ثمانمئة بئر نفط سوف تبقى مشتعلة من الآن حتى نهاية القرن؟..

هل هناك طبيب نفساني يمكن أن يشرح لنا كيف تنحرف الأمومة بهذا الشكل المَرَضي؟..

أم أن من عادة القطط المتوحشة أن تأكل أولادها؟؟..

●●●

إن الخـراب الـذي أحدثـه الغـزو العراقي للكويت، هـو أكبر من كل الإحصـاءات ومـن كل التوقعات، ومـن كل ذكاء الكمبيوترات..

صحيح أن الزلزال العراقي، اسـتمر سـبعة أشـهر فقط.. لكن الخراب المـادي والنفسي، والاقتصـادي، والاجتماعي، والسـياسي، والبيئي، الذي تركه خلفه سـوف يسـتمر طويلاً..

وإذا افترضنـا أن الـركام المـادي يمكـن إزالتـه بالبلـدوزر، فمـن يزيل هـذا الـركام النفـسي الهائـل الـذي تجمّع في أعـماق النفـس الكويتية؟

إنه خراب طال بجنونه، وساديته، ووحشيته كل شيء..

خـراب زرع المتفجـرات تحت شـجرة الحيـاة.. فقتل الـزرع والضرع والجـماد والنبـات.. ولـوّث البيئـة مـن شـواطئ الخليـج، إلى جبـال هماليا.

●●●

لا أريد أن أفتح كتاب الأحزان..

فالشريط طويل.. طويل..

ولكنني أود أن أقول إن الكويت لم تمت، ولم تفقد إيمانها بنفسها، وبقدرتها على الخروج من بطن التنين..

إن الأحزان قد تقتل الجبناء والضعفاء والمستسلمين، ولكنها لا تقتل أبداً من يؤمنون بربهم، ووطنهم، وقدرتهم على صنع الحياة.

إن الكويتيين يولدون مرة أخرى بعقل جديد، وفكر جديد، وتصميم جديد على التحدي والمواجهة.

وإذا كان القرن الواحد والعشرون سيرتب علاقاته على أساس العلم والتكنولوجيا فيجب أن نكون متعلمين.. وإذا كان سيقيم علاقاته على أساس الواقعية فلابد أن نكون واقعيين وبراغماتيين.

وإذا كان سيقيم علاقاته على مبادئ العدل والحرية والديمقراطية فسوف نكون أول العادلين، وإذا كان النظام العالمي الجديد سيرتكز على مبدأ القوة، فلا بد أن نكون أقوياء، وقادرين على حماية أسوار وطننا.

●●●

لا أريد أن أفتح الحسابات السرية عن هذه السنة المضرجة بالخوف، والدم، والقهر، والموت، والجريمة..

لا أريد أن أعيد مسلسل الرعب من أوله، فهو لا يليق بقيمنا، وتاريخنا، وشمائلنا العربية.

كل ما أريد أن أقوله إنني كامرأة كويتية فخورة بهذا الصمود الخرافي الذي أظهره الشعب الكويتي في وجه غزاته، وبهذا التلاحم الرائع في نسيج المجتمع الكويتي.

ولسوف يسجل تاريخ الحرب الخليجية بكل زهو وكبرياء، أن النظام العراقي، بكل غروره وغطرسته ومخابراته وآلته الحربية الفتاكة، لم يستطع أن يجند مواطناً كويتياً واحداً يرضى أن يكون دليلاً أو عميلاً له في ممارسة احتلاله.

لم يستطع النظام العراقي بكل الدنانير، والثروات وسبائك الذهب التي سرقها منا أن يشتري رجلاً.. أو امرأة.. أو طفلاً من أبناء الكويت.. ولم يستطع أن يستأجر أحداً أو يستوزر أحداً.. أو يرتهن أحداً..

كان بإمكان مليون جندي عراقي مدججين بالسلاح حتى أسنانهم، أن يغتصبوا الأرض خلال ساعات، ولكن كان من المستحيل عليهم أن يغتصبوا الضمير الكويتي.

تلك هي معجزة هذا الشعب الصغير، المؤمن، المسالم الذي ظل محتفظاً بكبريائه، وشموخه، وأصالته، حتى انتصر..

●●●

بعد عام على انحسار الزلزال، تحتاج الكويت إلى عملية نقد ذاتي، وإلى مراجعة طويلة وقاسية مع النفس.

لا مكان اليوم، للتواكل، أو اللامبالاة، أو الكسل.. إن (زمان الوصل بالأندلس) قد سقط مع سقوط الأندلس، ولم يعد بإمكاننا أن ندفن رؤوسنا في الرمل كالنعام.. متناسين أن الثعلب لا يزال حياً يرزق.. ولا تزال عينه على (المحافظة التاسعة عشرة)..

لقد ارتكبنا بلا شك أخطاء، وليس عيباً أن نعترف بأخطائنا.. بل العيب أن نستمر في الخطأ..

وإذا كان للعالم مآخذ على فلسفتنا، ومناهجنا، وتصرفاتنا فيجب ألا نغلق آذاننا أمام ما يقال، فليس هناك إنسان ولا نظام معصوماً من الخطأ.

يجب أن نتعلم، ويجب أن نتغير، ويجب ألا نخاف من مواجهة المرايا ومواجهة أنفسنا..

إن التحولات التي طرأت على العالم خلال العقد الأخير، سياسياً، وأيديولوجياً، واقتصادياً، وثقافياً.. تدفعنا إلى الخروج من قوقعتنا، وأفكارنا السابقة، وخوفنا المزمن، لنصبح جزءاً من إيقاع العصر، ومتطلبات النظام العالمي الجديد.

سوف نعمّر الكويت مرة أخرى مهما طال الزمن، وسوف نجعلها جزيرة حب وواحة سلام.. ولسوف نستفيد من تجاربنا وأخطائنا الماضية، فالحياة دروس ومعارف وتجارب.. وأتصور أننا تعلمنا الدرس جيداً..

أوراق من
كتاب التحرير..

أوراق من كتاب التحرير..

كتابُ تحرير الكويت كتاب كبير..

وقد شارك في تأليف هذا الكتاب مئات الألوف من الكويتيين، رجالاً ونساءً، كباراً، وصغاراً، شيوخاً ويافعين، مقيمين ومهاجرين.. كلٌّ واحد منهم أضاف إلى الكتاب سطراً أو كلمة أو نقطة.. حتى أشرق ضوء الشمس، وقرعت أجراس الحرية.

إن كتاب حريتنا ليس له مؤلف واحد.. أو كاتب واحد.. ولم تكتبه يد واحدة.. وإنما هو نشيد جماعي شاركت فيه ألوف الشفاه والحناجر..

إنه عمل سيمفوني، شارك فيه كل كويتي بجملة موسيقية حتى اكتمل النشيد..

●●●

ولسوف أحاول في هذه الأوراق القليلة أن أجمع خيطان الذاكرة، وأرسم صورة لمشاهد أخرى من نضال الكويتيين في المنفى الذين استفاقوا صبيحة اليوم الثاني من آب (أغسطس) 1990، ليجدوا أن سجادة الوطن قد سحبت من تحت أرجلهم..

ورغم أن الضربة فوق دماغنا كانت قاتلة، لكنها لم تقتلنا، ورغم أن (الاستعمار الجديد) كان جديداً علينا، لكننا لم نستسلم..

وبدأنا نتحرك على كل الجبهات.. كخلية نحل..

وصارت السفارة الكويتية في لندن بيتنا.. واللجنة الكويتية العليا عنواننا الدائم..

كنا مستنفرين كصيدليات الخفر 24 ساعة، ونعمل كتفاً إلى جانب كتف مع الرجال، وكان أولادنا يضربون على الآلة الكاتبة، ويوزعون المنشورات والبيانات، ويعملون سعاة بريد.. ويغسلون الصحون والفناجين..

وتألفت على الفور لجنة للإعلام، ولجنة للإعاشة والمساعدة الاجتماعية، ولجنة ثقافية، ولجنة للنظام، ومركز للدراسات.. كلها تحت مظلة اللجنة الكويتية العليا..

ومُدت أيدي المتطوعين إلى كل كويتي حتى يشعر بأن وطنه لن يتخلى عنه في زمن المحن والشدائد..

●●●

الأيام التي تلت الغزو كانت أياماً شديدة الوطأة على نفسي..

فلقد مات عمي الشيخ فاضل الحمد الصباح في لندن إثر انفجار في المخ في أول أيام الغزو، ولم نجد طريقة لنقله إلى الكويت، فاضطررنا إلى دفنه في تراب المنفى..

أما زوجي الشيخ عبد الله المبارك الصباح فقد أذهلته الصدمة، ودخل في حالة الصمت والإحباط والاكتئاب.

لم يصدق، وهو العربي الأصيل، أن يدخل الاستعمار عليه من نافذة بيته..

●●●

ورغم الإطار الرمادي الذي كان يحيط بي..

قررت أن أخرج من حالة الذهول، وأدخل مرحلة الفعل.. وبدا لي أن سلاح الإعلام، هو السلاح الأقوى، والأكثر تأثيراً في العقل الأوروبي، وبدأت أكتب غضبي.. نثراً وشعراً في الصحف السعودية الصادرة في لندن، وعلى رأسها صحيفة الشرق الأوسط التي فتحت قلبها وصفحاتها بكل محبة لكلماتي.

وكنت بذلك أول كاتبة كويتية تتصدى للعدوان في الصحافة الدولية، وساعدني في ذلك كوني عضواً مؤسساً وعضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان.

●●●

في يـوم 6 آب (أغسـطس) 1990، قابلـت الأخ د.محمـد الرميحـي في السفارة الكويتية في لندن للمرة الأولى، وطلب مني أن ألقاه لأمر مهم.

وعندمـا التقيتـه، قـال لي إن الشـيخ نـاصر محمـد الأحمـد الجابـر وزيـر الإعـلام يهديـك تحياتـه، ويطلـب منـي أن ألقـاه لأمـرٍ مهـم، ويطلـب أن نتعـاون معـاً لإصـدار جريـدة تعـبّر عـن صـوت الكويتيين في الداخـل والخـارج.

ورحّبـت بالفكـرة، وأعلنـت اسـتعدادي التـام لحمـل أعبـاء هـذا المـشروع ماديـاً ومعنويـاً، إذا لم تسـتطع الحكومـة الكويتيـة (بسـبب تجميـد الأمـوال الكويتيـة في الخـارج) الإنفـاق عـلى هـذا المـشروع.

وفي اليـوم التـالي قابلـت الدكتـور محمـد الرميحـي، وأطلعنـي عـلى فاكـس مـن الشـيخ نـاصر محمـد الأحمـد الجابـر يقـدر لـديّ روح التعـاون لإنجـاح هـذا المـشروع القومـي، وأخبرني بـأن الأسـتاذ محمد الصقـر وشركاءه أعلنـوا اسـتعدادهم لوضـع جريدة (القبـس) الدولية تحـت تـصرف الحكومـة الكويتيـة لتكـون صـوت الكويـت في العـالم.

وعـلى الرغـم من قلـة الإمكانيـات المتوفرة، وضيق مسـاحة التحرير التـي لم تكـن تزيـد عـلى صالـة وغرفـة، فقـد اسـتطاع الأخ الدكتـور محمـد الرميحـي بالتعـاون مـع الأخ الشـاعر عبـد الرحمـن النجـار، وعـدد قليـل مـن المحرريـن، أن ينهضـوا بهـذا العـبء، ويطلقـوا صـوت الكويـت عاليـاً فوق منبر مـن أهم منابـر الصحافـة الغربية في العاصمـة البريطانيـة.

وقـد جنـدت قلمـي منـذ اللحظـة الأولى للكتابـة في القبـس الدولي، وشاركت بقصائدي ومقالاتي اليومية في مواكبة مسيرة التحرير والمقاومة.

●●●

وعلى الصعيد الثقافي، كنت أقوم بدور ضابط الارتباط بكبار الكتّاب والمثقفين في القاهرة أو بقية العواصم العربية، من أمثال الأستاذ نجيب محفوظ ود.يوسف إدريس والأستاذ مصطفى أمين ود.فؤاد زكريا ود.سعدالدين إبراهيم ود.علي الدين هلال ود.إبراهيم صقر ود.يحيى الجمل والأستاذ فاروق جويدة والأستاذ فاروق شوشة ود.عمرو محي الدين والأستاذ حسن راضي ود.أحمد الغندور.. لكسب تأييدهم للقضية الكويتية إلى جانب المؤسسات والهيئات الحقوقية والإنسانية كاتحاد المحامين العرب، ومنظمة العفو الدولية، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، واتحاد العمال العرب، والمنظمة العالمية للحقوق النقابية، والرابطة العربية الأمريكية.

كما كان لي شرف المشاركة في كل المسيرات وحركات الاعتصام التي قام بها المواطنون في لندن والحوارات السياسية التي تجرى أيام الآحاد في حديقة الهايد بارك اللندنية.

●●●

لم أهمل أيضاً الدور الإذاعي في توعية الجماهير، وحرصت أن يكون للإذاعة في القارة الأوروبية دورها في نقل موقف الكويت السياسي والرسمي والشعبي إلى الجالية العربية والإسلامية المقيمة في بريطانيا، وذلك حين قمت بالتغطية المادية لتقديم ساعة يومية في راديو (سبكتروم) يخصص لصوت الكويت.

وقد أشرف على إعداد هذا البرنامج الأخ الأستاذ بدر الرفاعي والمذيع محمد المطوع.

كما كان لي خلال فترة الاحتلال برنامج يومي في إذاعة الكويت في الدمام عنوانه (صباح الخير يا وطني)، وهو برنامج لا يزال يبث حتى الآن في إذاعة الكويت، بالإضافة إلى برنامج آخر هو عبارة عن تقرير يومي ألخص فيه جميع ما يكتب عن الكويت في الصحافة البريطانية.

●●●

وعلى صعيد الإعلام الخارجي سافرت إلى واشنطن بتاريخ 1990/9/2 أي بعد مرور شهر على الاحتلال، وذلك بدعوة من اتحاد الطلبة الكويتيين في الولايات المتحدة، شاركت مع الشيخ أحمد القطان، في طرح قضية الكويت في المهجر، وفي إذكاء الشعور الوطني لدى الطلبة الكويتية الذين يدرسون هناك.

وفي أكتوبر 1990، سافرت إلى القاهرة، وهي العاصمة الأولى للإعلام العربي، حيث قدمت العديد من اللقاءات الشعرية مع الشعراء المصريين المعروفين لنصرة قضية الكويت.

وفي القاهرة قمت بإصدار أول مجموعة شعرية عن الغزو (برقيات عاجلة إلى وطني)، وأول كتاب نثري عن القضية الكويتية هو هذا الكتاب (هل تسمحون لي أن أحب وطني؟).

هذا بالإضافة إلى شريط كاسيت، سُجّل وطبع في القاهرة، ويتضمن جميع قصائدي التي كتبتها دفاعاً عن كبرياء بلادي وحريتها.

وتكررت زيارتي للقاهرة لنفس المهمة، وكان آخرها بدعوة لمؤتمر الشعر الدولي في شهر ديسمبر.

وكانت دمشق، محطة قومية مهمة على خارطة تنقلاتي الثقافية، فقد ذهبت إليها مع الصديق الشاعر الأستاذ عبد الرحمن النجار، بدعوة من مركز الإعلام الكويتي في العاصمة السورية، حيث قدمنا في صالة مكتبة الأسد، أهم ما كتبناه من شعر المقاومة، على جمهور مشتعل ثقافياً، وعربياً، وقومياً.

أما على صعيد العمل الإعلامي في أوروبا، فقد سافرت إلى جنيف، وقمت باتصالات مكثفة مع أعضاء المنظمات العالمية لحقوق الإنسان، ثم واصلت سفري إلى براغ حيث شاركت في مؤتمر المنظمة

العالمية للحقوق النقابية، وقدمت ورقة للمؤتمر في موضوع الغزو العراقي للكويت.

●●●

الورقة الأخيرة من هذه الأوراق، أود أن أخصصها لعدد من المناضلين الأصدقاء الذين كانوا كتيبة مقاتلة على الخطوط الأولى من معركة التحرير.

وعلى رأس هذه الكتيبة المقاتلة، يأتي صديقنا الدكتور محمد الرميحي الأشبه بدينامو ثقافي وإعلامي يشتعل ليلاً ونهاراً، للتعريف بقضية الكويت، وشرعية نضالها. وهي شهادة من القلب، أقدمها لهذا الكاتب الذي حمل الكويت فوق أهدابه وزرعها في كل مكان.

وإذا كان لي أن أضع زهرة من الغار على جبين واحد من أكثر الكويتيين نقاءً، وأصالة، وموهبة، فإنني أضعها على جبين الصديق الشاعر عبد الرحمن النجار الذي كان سفيراً من أكبر سفرائنا على صعيد الكلمة الشاعرة.

ولا أنسى بطبيعة الحال هؤلاء الجنود المجهولين في عالم الصحافة الذين نذروا أقلامهم، وأعصابهم، ووقتهم للدفاع عن سيادة الكويت وتراثها، وجذورها، وحقها في الحياة.

ولن أنسى، وأنا أختم أوراقي، اللجنة الكويتية العليا، وما قامت به من أعمال لإظهار وجه الكويت الناصع، والمواطنين الكويتيين الرائعين الطيبين، الذين صبروا وصابروا، والتلاميذ الذين تركوا منازلهم وجامعاتهم ومدارسهم ومكاتبهم، وانطلقوا في شوارع العواصم الغربية، تحت المطر والثلج، والضباب والرياح، ليؤكدوا

للعـالم أن الوطـن الصغـير الجميـل لـن يمحـى مـن الخارطـة.. وأن الكويـت لـن تمـوت..

المحتويات

كويتيون بلا قبور 5
العدالة المتأخرة 11
مبادرات بالجملة 15
المتاجرة بحليب الأطفال 19
سلام عليك.. يا مصر 23
نعم.. كويتيون حتى نخاعنا 27
عندما تشهرالدبابة إسلامها 31
بابا صدام وأطفال الإنجليز 37
وطن مسروق 43
يوميات امرأة كويتية في المنفى.. 49
من أوراق المقاومة الكويتية 57
كشف حساب صغير للاغتصاب الكبير 65
ثقافة التهريج على مسرح الخليج 71
هل تسمحون لي أن أحب وطني ١ 77
هل تسمحون لي أن أحب وطني ٢ 85
هل تسمحون لي أن أحب وطني ٣ 91
أحمل ملف الوطن 99
كنت أريد أن أفتح حقائب الفرح 107
لن تتحول الكويت إلى أندلس ثانية 113
اغتصاب التاريخ 119

الخارجون من التاريخ 125
بانتظار غودو 137
رامبو.. يُصوِّر فيلما في الخليج 147
صواريخ لا عقل لها.. 155
صباح الخير.. أيتها الحرية 163
بعد الزلزال 169
أوراق من كتاب التحرير.. 181

نشرت مقالات هذا الكتاب في صحف:

- الحياة (لندن)
- القبس الدولي (لندن)
- صوت الكويت (لندن)
- الشرق الأوسط (لندن)

مؤلفات د. سعاد محمد الصباح

إصداراتها الشعرية :

الديوان	دار النشر	سنة الطبع
من عمري	دار اليوم / بيروت	1964
أمنيــة	دار المعارف / القاهرة	1971
إليك يا ولدي	دار المعارف / القاهرة	1982
فتافيت امرأة	الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة	1985
في البدء كانت الأنثى	منشورات رياض الريس / لندن	1988
حوار الورد والبنادق	منشورات رياض الريس / لندن	1989
برقيات عاجلة إلى وطني	الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة	1990
آخر السيوف	دار سعاد الصباح / الكويت	1992
قصائد حب	دار سعاد الصباح / الكويت	1992
امرأة بلا سواحل	دار سعاد الصباح / الكويت	1994
خذني إلى حدود ا لشمس	دار سعاد الصباح / الكويت	1997
القصيدة أنثى والأنثى قصيدة	دار سعاد الصباح / الكويت	1999
و الورود تعرف الغضب	دار سعاد الصباح / الكويت	2005
رسائل من الزمن الجميل	دار سعاد الصباح / الكويت	2006

إصداراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة	لندن 1983	دار ايستلوردز
أضواء على الاقتصاد الكويتي	لندن 1985	دار ايستلوردز
المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة	لندن 1986	دار ايستلوردز
الأوبك : التجربة السابقة والتوقعات المستقبلية	لندن 1986	دار ايستلوردز
سوق النفط الجديد : المملكة العربية السعودية تستعيد مبادرتها	لندن 1986	دار ايستلوردز
أزمة الموارد في الوطن العربي	لندن 1989	دار ايستلوردز
هل تسمحون لي أن أحب وطني	القاهرة 1990	الهيئة المصرية العامة
صقر الخليج: عبد الله المبارك الصباح	الكويت 1995	دار سعاد الصباح
حقوق الإنسان في العالم المعاصر	الكويت 1995	دار سعاد الصباح
حقوق الإنسان : بين النظرية والتطبيق	الكويت 1997	دار سعاد الصباح
ماذا تعرف عن حقوق الإنسان ؟	الكويت 1997	دار سعاد الصباح
أوراق في قضايا الكويت (1)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في قضايا الكويت (2)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في الاقتصاد الخليجي	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في السياسة الدولية	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (1)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (2)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
أوراق في السياسة النفطية (1)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح

أوراق في السياسة النفطية (2)	الكويت 2006	دار سعاد الصباح
مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة	الكويت 2007	دار سعاد الصباح
كلمات خارج حدود الزمن	الكويت 2008	دار سعاد الصباح

سعاد محمد الصباح

ابنة حفيد حاكم الكويت (السادس) الشيخ محمد الصباح
وقرينة نائب الحاكم عبدالله مبارك الصباح

- شاعرة عربية وناشطة في مجال حقوق الإنسان، ناشرة، ومؤلفة.
- دكتوراه في الاقتصاد - جامعة ساري - لندن 1982
- رئيس مجلس إدارة شركة "المجموعة العملية القابضة".
- أسست "دار سعاد الصباح للنشر" عام 1988.
- رئيس "مؤسسة مبرة عبدالله مبارك الصباح الخيرية".
- عضو مؤسس للعديد من المنظمات غير الحكومية في الكويت وفي الوطن العربي وفي العالم.
- شاركت في العديد من المؤتمرات.
- أقامت الكثير من الأمسيات في عواصم ومحافل دولية وعربية.

حاصلة على:

- جائزة الكويت التقديرية في الآداب والفنون 2002.
- درع التفوق من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.
- درع الشرف من معهد العالم العربي في باريس.
- كرمتها جامعة الكويت بمناسبة يوم الأديب عام 2005.

- منحتها الجامعة العربية في القاهرة لقب السيدة العربية المميزة في الثقافة والآداب.
- منحتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان في القاهرة بطاقة العضوية رقم (1) تقديراً لدورها الجليل في قيام المنظمة واستمرارها.
- منحتها الملكة إليزابيث الثانية الوسام الملكي C.B.E تقديراً لمساهمتها الثقافية والتعليمية التي قامت بها من أجل تمتين العلاقات بين الكويت وبريطانيا عام 2007.
- منحتها جمعية تعزيز وممارسة أفكار مانهي (Manhae) الكورية الجنوبية جائزة الأدب للعام 2012 وللرئيس المناضل نلسون منديلا جائزة السلام.
- اختيرت من بين 10 نساء مؤثرات في مجتمعاتهن على مستوى العالم، كواحدة من عظيمات سيدات القرن الـ 21 من قبل المعهد الأمريكي للسيرة الذاتية، في العامين 2006 - 2007.
- قامت وزارة التربية في الكويت بتسمية إحدى مدارسها في منطقة المنصورية باسمها 2013.
- قلّدها رئيس جمهورية تونس د. محمد المنصف المرزوقي وسام الجمهورية (الصنف الأكبر) في أبريل 2012.

التحـولات التـي قلبـت المفاهيـم والأيديولوجيـات والأفكار الخاطئة يجب أن تحولنا..
كل شـيء يتحـرك مـن حولنـا ونحـن واقفـون.. وكل شـيء يستيقظ ونحـن نائمـون.. ومـا لـم ندخـل (نـادي التاريخ) مع الداخلين، فسوف نبقى خارج التاريخ.

سعاد الصباح

978-99906-2-056-6